
مدرسة الحديث العراقية
مجلة
المحدث
مجلة علمية فصلية
السنة الثالثة، العدد التاسع
ربيع الآخر ١٤٤٤هـ، تشرين الثاني ٢٠٢٢م
تصدر عن
مدرسة الحديث العراقية


بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة



مجلة المحدث مجلة علمية فصلية متخصصة بالحديث وعلومه

تصدر عن

مدرسة الحديث العراقية







المحتويات



كلمة العدد

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وآله وصحبه مستحقي المدح والثناء والشرفا، وبعد:

فإنَّ الحاجة للتذكير والمذاكرة في حياة المسلم شديدة ومستمرة، فالغفلة التي تصيب الشخص، والانشغال بلوازم الدنيا ومتطلباتها، والذهول عن الواجبات والحقوق، كل ذلك حاصل في حياة المسلم وواقع فعلًا، مما يستدعي معه القيام بمهام التذكير والدعوة والنصح والإرشاد بوتيرة تتناسب مع وجود ما تقدم ذكره، وفي مضمون ما ذكرنا عن الغفلة والتذكير، تبرز بصورة أكبر مهمة الدفاع عن السنة ونشرها في مقابل الهجمات المسعورة الكبيرة والمستمرة عليها، وضمن هذا السياق تأخذ مدرسة الحديث العراقية على عاتقها الإسهام مع غيرها والقيام بواجبها في التذكير والنصيحة، بوسائل متعددة منها هذا العدد الجديد من مجلة المحدث الغراء، فقد تضمن مقالات علمية كتبت بأيدي فضلاء يحملون هم أمتهم، ويلحظون مواطن الخلل والنقص ليقيموه ويسدوه، وينيرون بإضاءات علمية دروبًا لطلبة العلم، وكل مسلم ملتزم، سائلين الله القبول والتوفيق والتسديد.

والحمد لله رب العالمين.

أ.د. قاسم محمد أحمد الخزرجي

رئيس التحرير



قصيدة في التعريف بـ

كتاب السنن الصغرى

مع فوائد من علم الحديث وبيان أهميته وختمها بدعاء وثناء

وكتب: بهجة يوسف حمد أبو الطيّب
في ٢٢/١٢/١٤١١هـ - ٤/٧/١٩٩١م
شيخ مدرسة الحديث العراقية

بالله أبدأُ مستعيناً ذارًا   وكما يحبُّ الحمدَ دوماً نحمدُ
وصلاتنا دوماً لأفضلِ مُرسلٍ   والآلِ والصحبِ الكرام نُمجِّدُ
أرَئيسَ إحياء التراث أنا قائلٌ   قولاً سديدًا ليس فيهِ تردُّدُ
إذ أرفعُ الدعوى لربّي راضيًا   ما يحكم الديانُ ربّي الأمجدُ
إسمعهُ منّي في قوافٍ سُطِّرتْ   نظمَ اللآلئ عِقدها يتوقدُ
من بعدِ إهداء السلامِ تحيَّةً   منّي إليكُمْ بعد ذا أتشهَّدُ
إنا من القومِ الأُلى قد أُكرموا   في خير جدٍّ فهو جدّي أحمدُ
ومن الأُلى تجب الصَّلاةُ عليهمُ   عندَ المصلّي بعدما يتشهَّدُ
ومن الأُلى وجبت محبَّة آلهم   والبغضُ آيةُ من بدينهِ يُلحدُ
ومن الذين تشرَّفوا في منعهم   أخذَ الزَّكاةِ ومن سواهم يُرفدُ
ومن الذين بآيةٍ قد طهِّروا   في آيةِ التطهيرِ فيها أُفردوا
أم حسبُهم أنَّ الإله قد اصطفى   منهم رسولًا خير عبدٍ يوجدُ
هم عِترةُ المختار أينَ مثيلهم   طابت أرومتهم وطاب المحتِدُ
فلنا من التوقيرِ ما هو واجبٌ   ولنا من الإكرامِ ما بهِ نُفرَدُ



ولنا الهديَّةُ ليسَ يصلحُ غيرها ... ولغيرنا غيرُ الهديّةِ تُحمدُ
فبنا رسولُ الله يكرمُ قدرهُ ... فينا الوصيّةُ من بها يتقيَّدُ
وبنا رسولُ الله يُحفظ حقُّهُ ... نحنُ الوديعةُ عند من يتعهَّدُ
وبنا له إذا غاب تُحفظُ حرمةٌ ... فينا بقيَّتُهُ بنا تتجسَّدُ
أكرم رسول الله فينا تَلقَهُ ... نِعمَ المجازي كلَّ من لهمُ اليدُ
أأُخَيّ إني والخطوب تلاحقت ... والرَّبُّ لا يرجى سواهُ ويُقصَدُ
أأُخيّ إني إن سألتَ فإنني ... وكفى بربّي شاهدًا لا يُردَدُ
حقَّقتُ مُختصَرًا لسنَّةِ أحمدٍ ... ممّا رواهُ البيَهقيُّ الأَوحدُ
صححتُهُ وضبطتُ كلَّ نصوصهُ ... علَّقتُ حقاً فيهِ ما هو أَفيَدُ
وانظر مُقدِّمةً لهُ دبَّجتها ... فيها من المطلوبِ علمُ جيِّدُ
وكذاكَ حاشيةً به أَلحقتُها ... فيها بحمدِ الله تمَّ المقصدُ
فبها أحاديثُ الكتابِ تَبَيَّنتْ ... ميَّزتُ ما قد صحَّ ممّا يُردَدُ
قوَّيتُ آثارًا بهِ قد ضُعِّفت ... بمتابعٍ أو شاهدٍ به تُعضدُ
أوَليسَ إحياءُ التراثِ بنشرِهِ ؟ ... يا لجنةَ احياءِ التراث ألا
سِفرٌ حوى فقهَ الكتابِ وسنَّةٍ ... صفواً صريحاً طابَ منهُ المورِدُ
سِفرٌ حوى فقهَ الحديثِ مُهَذبًا ... من كلَّ رأيٍ أو قياسٍ يُردِدُ
سِفرٌ به بانت شَريعةُ أحمدٍ ... غرّاءَ ما شيبت بأمرٍ يُنقدُ
يُفتي بنصِّ الوحي لا مُتكلِّفًا ... رأيًا ومعقولًا به يتردَّدُ
حقّاً وعمّا لم يكن هو مُعرضٌ ... وكذاك عن عُضلِ المسائلِ يُبعدُ
يا من تُريدُ العلم دونكهُ إذن ... فالحقُّ في الأقوالِ لا يتعَدّدُ
والعلمُ قالَ اللهُ قالَ رسولهُ ... قالَ الصَّحابةُ مُجمعينَ وقد
والعلمُ حدَّثنا الرِّضا عن مثلهِ ... من غيرِ تدليسٍ ووصفٍ يُفسدُ
من كلِّ مرفوعٍ لأحمدَ ينتهي ... أو كانَ موقوفاً لصَحبهِ يُرددُ



أكرم بمن يروي ويُسندُ قولهُ ... حقَّاً فصدقُ القولِ قولٌ مُسندُ

أكرم بمن يروي لأحمدَ سُنَّةً ... حقّاً فنعمَ القولُ قالَ مُحمَّدُ

اللهُ أكرمنا بّذاكَ وخصَّنا ... في نعمةِ الإسنادِ حقَّاً نُفرَدُ

ما العلمُ أقوالًا بغيرِ أزمَّةٍ ... من كلِّ مُنقطعٍ وما لا يُسندُ

من قولهم يُحكى وقيلَ ونحوهُ ... قد خابَ حقّاً من بذا يتعبَّدُ

أأُخيّ إني والأمورُ تشعَّبت ... والأمرُ للرَّحمن دومًا يُرددُ

أأُخيّ إنكَ إن سألتَ فإنني ... بالله أُؤمن والرسولُ أُقلدُ

لي في كتابِ الله أقومُ قائدٍ ... وبسنَّةِ المبعوثِ فينا أُرشَدُ

وعلى هدى الصَّحبِ الكرامِ أنا ... وبهدي من تبعوا الصحابةَ

وتبعتُ أصحابَ الحديثِ لأنهم ... ضبطوا الأُلى قد صحَّ حقَّاً

لكن لأهلِ الرأي لستُ بشانئٍ ... فالكلُّ قد تبعوا الرسولَ به

حمّادُ شيخي بالحديثِ إجازةً ... وأخي الجزائري جابرٌ لي يشهدُ

وسمينا الأثريُّ يشهدُ مثلهُ ... يتلوهُ بشارٌ لنا يتودَّدُ

ولنا البخاريْ فوقَ ذلك شاهدًا ... أكرم به فهو الإمامُ الأوحدُ

حمداً لربي إذ رأيتني مرَّةً ... في زورقٍ بيدِ البخاريْ المقودُ

حتى إذا كانت تتمَّةُ سيرنا ... أعطاني المجذافَ ذاكَ الأمجدُ

إني لأرجوا أن يكون كتابنا ... تأويلَ رؤيايَ التي لا تجحدُ

أوليسَ في هذا الشهادةُ أنّني ... أكملتُ ما بدأَ الإمامُ محمَّدُ؟

رضيَ البخاري الحبرُ أنّي بعدهُ ... أهلٌ لإكمالِ المسيرةِ فاشهدوا

فكفى بما فعلَ البخاريْ حُجَّةً ... وكفى بذاك شهادةً لا تُرددُ

من كان في شكٍّ فإنَّ سُطورهُ ... بالحقِّ شاهدةٌ بما تُستَشهَدُ

فالفضلُ للرحمنِ ربّي وحدهُ ... والله أحمدُ دائماً وأُوحِّدُ

أأُخيّ إني إن أتيتُكَ فاعلمن ... عظُمت عليكَ حقوقَ من لكَ



فـأنا كـريمٌ إن أتـى مـن مثلـهِ ... فـالعرفُ بـين كـرامهم لا يُفقـدُ

وأنا أبيٌّ إن أتـى مـن مثلـهِ ... فالفضـلُ بـين أُباتهـمْ يـتردَّدُ

وأنا ابـنُ يوسـفَ إن نسـبتني بهجـةٌ ... حمـدٌ لي الجـدُّ الـذي لا يبعـدُ

والطيّـبُ المعـروف ذلـك جـدُّنا ... بالطيـبِ يُكنـى وهـو جـدّي

جـدٌّ نمـاني في المعـالي وزانـني ... في هيـتَ عِنـوانٌ لنـا يتخلّـدُ

وأبـو الثّـنا الآلوسـي حقّـاً عمُّنـا ... وكـذاك نُعمـانٌ وشـكري السـيدُ

تأبى الديانـةُ مـنّي فعـلَ نقيصـةٍ ... وأبـت مـروءتي فعـلَ مـا لا يُحمـدُ

وأنا ابـن أنبـارٍ بـهيتَ إقـامتي ... إن كنـتَ تعلمهـا ففيهـا المولـدُ

وختامُهـا أهـدي النّصـيحةَ مُخلصًـا ... مـنّي إلـيكم واجبـاً يتأكـدُ

أأُخـيّ لا يلهيـكَ عـيشٌ بعـدهُ ... مـوتٌ وحشـرٌ والحسـابُ مُشـدَّدُ

لابـدَّ يومـاً سـوف ترحـلُ راغمًـا ... عـن كـلِّ مـا أُوتيـتَ سـوف تُجـرَّدُ

أأُخـيّ إن ولّيـت فهـيَ أمانـةٌ ... والويـلُ للأُمنـاءِ إن هـمْ اعتـدوا

والعـيشُ حُلـمٌ والمنيَّـةُ يقظـةٌ ... والعمـرُ أنفـاسٌ عليـكَ تُعـدَّدُ

والعـزُّ في تقـوى الإلـهِ وغيرهـا ... عَـرَضٌ قليـلٌ عـن قريـبٍ يُفقـدُ

فاعمـل لمـا بعـدَ الممـاتِ بطاعـةٍ ... تُرضـي بهـا الـرَّحمنَ عَلَّـك تُسـعَدُ

واسـجد لـهُ لـيلاً طـويلاً ضـارعًا ... واشـكرْ لـهُ النَّعمـاءَ ذلـكَ أفيـدُ

فهـو الـذي وسِـعَ الخلائـقَ جـودُهُ ... وهـو الكـريمُ أبوابـهُ لا توصـدُ

أسـتغفرُ اللهَ المُعظَّـمَ تائبًـا ... عـن كـلِّ مـا تجـني يـدٌ أو مـذودُ

واللهَ نسـألُ أن ييسِّـرَ أمـرنا ... فهـو الموفِّـقُ وحـدهُ والمُرشـدُ

ونصـلّي خاتمـةَ الكـلامِ لعلنـا ... يـومَ القيامـةِ بالشَّـفاعةِ نُسـعدُ

والحمـدُ يتلوهـا كثـيرًا طيِّبًـا ... حـقٌّ لـربِّ العـرشِ دومـاً نحمـدُ



المقالات

الحديث والزهد في المدرسة العراقية

الشيخ الدكتور عبدالحكيم الأنيس

كلمة ألقيتْ في افتتاح مؤتمر: (مدرسة الحديث العراقية: أصالة وتجدد) الذي أقامته مدرسة الحديث العراقية بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية في الجامعة العراقية يوم الثلاثاء ٩ محرم سنة ١٤٤٢هـ، الموافق ١/٩/٢٠٢٠م.

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أخصُّ منهم سيدنا المصطفى. وبعد:

أيها الإخوة الأحبة في العراق: في الجامعة العراقية، وفي مدرسة الحديث العراقية، وفي سائر المحافل والمعاهد العلمية: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والشكر موصول لكم على جهودكم، وعلى هذه الدعوة.

هذه الفعالية الثانية لي في الجامعة العراقية بعد (٢٥) سنة من المشاركة الأولى.

***

أمّا المدرسة العراقية فهي مِن أهم مدارس الحديث في عالم الإسلام:

قال الشيخ عبدالفتاح أبو غدة في مقدمته على "فقه أهل العراق وحديثهم" للكوثري[١]: "وكان ممّا أخلَّ به الكاتبون إخلالًا بيّنًا: تاريخ الفقه والحديث في العراق، ذلك القطر الواسع العريض، الذي كانت بغدادُ منه وحدها تُعد دُنيا بحالها ... ولا أبعدُ إذا قلتُ: لعل تاريخ العراق مِن هذه النواحي يقاربُ أو يعادلُ تاريخَ سائر الأمصار

(١) انظر فاتحة "نصب الراية" (١/٢١-٢٢).





مجتمعةً على فضل بعضها على بعض، بما أقام الله فيها من معالم شعائره وبركات عباده سبحانه".

وقال الذهبي في "الأمصار ذوات الآثار"[١]: "بغداد بُنيت في آخر أيام التابعين. وأول مَن بثَّ فيها الحديث: هشام بن عروة، وبعده شعبة وهشيم، وكثر بها هذا الشأنُ فلم تزل معمورة بالأثر والخبر إلى زمن الإمام أحمد بن حنبل، ثم أصحابه، وهي دارُ الإسناد العالي والحفظ، إلى أنْ استؤصلت في كائنة التتار الكفرة، فبقيتْ على نحو الرُّبع"[٢].

وقال[٣]: "وأمّا اليوم [أي النصف الأول من القرن الثامن][٤] فقد كان يعدم علمُ الأثر من العراق".

***

إنَّ أساطين المُحدِّثين في العراق كانوا زهادًا، وإنَّ أساطين أهل الزُّهد كانوا محدِّثين، ومِن أهل الحديث، ونستعرضُ عددًا منهم:

١. **الحسن البصري (٢٢-١١٠).**

قال ابنُ سعد: "قالوا: "كان الحسن جامعًا، عالمًا، عاليًا، رفيعًا، فقيهًا، ثقةً، مأمونًا، عابدًا ناسكًا، كثير العلم"[٥].

٢. **معروف الكرخي (ت: ٢٠٠).** أسند الحديث[٦].

---

(١) (ص: ١٧٢).
(٢) ويُنظر ما قاله عن الكوفة (ص: ١٧٤-١٧٧) والبصرة (ص: ١٧٧-١٨٠).
(٣) (ص: ٢٣٠).
(٤) وُلد الذهبي سنة (٦٧٣)، وتوفي سنة (٧٤٨).
(٥) الطبقات الكبير (٩/ ١٥٨ ط الخانجي).
(٦) طبقات الصوفية للسُّلمي (ص: ٨٥).



سأله أبو سليمان الداراني عن الطائعين لله تعالى، بأي شيء قدروا على الطاعة؟ فقال: بإخراج الدنيا من قلوبهم، ولو كان منها شيء في قلوبهم ما صحتْ لهم سجدة[١].

وسمّاه سفيان بن عيينة الحبر، وجاء إليه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فسمعا منه الحديث.

قال أبو نُعيم: كان معروف وعى العلم الكثير، فشغلته الوعاية عن الرواية.

٣. **بشر بن الحارث الحافي (ت: ٢٢٧)**. أسند الحديث.

قال ابن أبي الدنيا: "قال رجل لبشر: لا أدري بأي شيء آكل خبزي؟ فقال: اذكر العافية واجعلها إدامك[٢].

وروى السُّلمي عن عباس بن دهقان قال: كنتُ عند بشرٍ وهو يتكلمُ في الرضا والتسليم، فإذا هو برجلٍ من المتصوفة فقال له: يا أبا نصر انقبضتَ عن أخذ البرِّ مِن يدِ الخلق لإقامة الجاه، فإنْ كنتَ متحققًا بالزُّهد منصرفًا عن الدنيا فخذْ من أيديهم ليمتحي جاهُك عندهم، وأخرجْ ما يعطونك إلى الفقراء، وكن بعقد التوكل تأخذ قوتَك من الغيب. فاشتدَّ ذلك على أصحاب بشر، فقال بشرٌ: اسمعْ أيها الرجلُ الجوابَ:

الفقراء ثلاثة: فقيرٌ لا يَسألُ، وإنْ أُعطيَ لا يأخذُ، فذاك من الرُّوحانيين، إذا سألَ اللهَ أعطاه، وإنْ أقسمَ على الله أبرَّ قسمَه.

وفقيرٌ لا يَسألُ، وإنْ أُعطيَ قبلَ، فذاك مِن أوسط القوم، عقدُه التوكلُ والسكونُ إلى الله تعالى، وهو ممن تُوضعُ له الموائدُ في حظيرة القدس.

وفقيرٌ اعتقدَ الصبر ومدافعةَ الوقت، فإذا طرقته الحاجةُ خرج إلى عبيد الله وقلبُه إلى الله بالسؤال، فكفارة مسألته صدقُه في السؤال.

---

(١) طبقات السلمي (ص: ٨٩).

(٢) طبقات السلمي (ص: ٤١-٤٥).



فقال الرجلُ: رضيتُ رضيَ اللهُ عنك(١).

٤. **الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣)**. أسند الحديث(٢).

قال أبو عثمان البلدي: بلغني عن حارث المحاسبي أنه قال: العلمُ يورثُ المخافة، والزُّهدُ يورثُ الراحة، والمعرفةُ تورثُ الإنابة(٣).

ومفهومُ الزُّهد عنده متوازنٌ جدًا قال: خيارُ هذه الأمة الذين لا تشغلهم آخرتُهم عن دنياهم، ولا دنياهم عن آخرتهم(٤).

وصفةُ العبودية عنده ألا ترى لنفسك ملكًا، وتعلمُ أنك لا تملكُ لنفسك ضرًا ولا نفعًا(٥).ويقول الحارث: القانع غنيٌّ وإنْ جاع، والحريص فقيرٌ وإنْ ملك(٦).

٥. **سري السقطي (ت: ٢٥١)**. أسند الحديث(٧).

قال الجنيد: سمعتُ السريَّ يقول: أعرفُ طريقًا مختصرًا، قصدًا إلى الجنة، فقلتُ: ما هو؟ فقال: لا تسألُ أحدًا شيئًا. ولا تأخذُ مِن أحد شيئًا. ولا يكونُ معك شيءٌ تُعطي منه أحدًا(٨).

وقال عبدالقدوس بن القاسم: سمعتُ السريَّ يقول: "كلُّ الدنيا فضولٌ إلا خمس خصال: خبز يشبعه، وماء يرويه، وثوب يستره، وبيت يكنه، وعلم يستعمله"(٩).

---

(١) طبقات السلمي (ص: ٥١).

(٢) طبقات السلمي (ص: ٥٦).

(٣) طبقات السلمي (ص: ٥٨).

(٤) طبقات السلمي (ص: ٥٨).

(٥) طبقات السلمي (ص: ٥٩).

(٦) طبقات السلمي (ص: ٦٠).

(٧) طبقات السلمي (ص: ٤٨).

(٨) طبقات السلمي (ص: ٤٩).

(٩) طبقات السلمي (ص: ٥٠).



وقال علي بن عبدالحميد الغضائري: سمعتُ السريَّ يقول: قليلٌ في سنةٍ خيرٌ من كثيرٍ مع بدعة، كيف يقلُّ عملٌ مع التقوى؟[١]

وكان يحضُّ على البدء بطلب الحديث: قال الجنيد: سمعتُ السريَّ يقول: "إذا ابتدأ الإنسانُ بالنسك ثم كتبَ الحديثَ فترَ، وإذا ابتدأ بكتْبِ الحديث ثم تنسَّك نفذَ"[٢].

٦. **أبو الحسين النُّوري (ت: ٢٧٥)**. أسند الحديث[٣].

٧. **أبو سعيد الخراز (ت: ٢٧٩)**. أسند الحديث[٤].

٨. **عمرو بن عثمان المكي، مات ببغداد سنة (٢٩١)**. روى الحديث[٥].

٩. **أبو القاسم الجنيد (ت: ٢٩٧)**. أسند الحديث[٦].

ويقول: ما أخذنا التصوفَ عن القيل والقال، لكنْ عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات، لأنَّ التصوف هو صفاءُ المعاملة مع الله تعالى...[٧].

١٠. **أبو العباس بن مسروق الطوسي، سكن بغداد، ومات بها سنة (٢٩٩)**. أسند الحديث[٨].

١١. **محمد ابن أبي الورد.**

(١) طبقات السلمي (ص: ٥٢).
(٢) طبقات السلمي (ص: ٥٥).
(٣) طبقات السلمي (ص: ١٦٥).
(٤) طبقات السلمي (ص: ٢٢٨).
(٥) طبقات السلمي (ص:٢٠١).
(٦) طبقات السلمي (ص: ١٥٦).
(٧) طبقات السلمي (ص: ١٥٨).
(٨) طبقات السلمي (ص: ٢٣٨).



مِن كبار مشايخ العراقيين وجلتهم، وكان وأخوه أحمد مِن جلساء الجنيد وأقرانه، وأسندَ محمد الحديث[١].

ومِن أقواله: طرحُ الدنيا إلى مَن أقبل عليها والإعراضُ عنها وعمَّن أقبل عليها مِن عمل الأكياس[٢].

١٢. **أبو العباس بن عطاء الأدمي (ت: ٣٠٩)**. أسند الحديث[٣].

١٣. **أبو محمد الجريري (ت: ٣١١)**. أسند الحديث[٤].

١٤. **أبو علي الروذباري (ت: ٣٢٢)**.

هو من أهل بغداد، وسكن مصر وصار شيخها، ومات بها.

أسند الحديث[٥]. وكان عالمًا فقيهًا، عارفًا بعلم الطريقة، حافظًا للحديث[٦].

وقال: أستاذي في الحديث إبراهيم الحربي[٧].

١٥. **أبو بكر الشلبي (.... – ٣٣٤)**.

كتبَ الحديث الكثير ورواه[٨]، وكان يحفظ "الموطأ"[٩].

سُئل الشبلي عن الزُّهد فقال: تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء[١٠].

---

(١) طبقات السلمي (ص: ٢٤٩).

(٢) طبقات السلمي (ص: ٢٥١).

(٣) طبقات السلمي (ص: ٢٦٥).

(٤) طبقات السلمي (ص: ٢٦١).

(٥) طبقات السلمي (ص: ٣٥٥).

(٦) طبقات السلمي (ص: ٣٥٤).

(٧) طبقات السلمي (ص: ٣٦٠).

(٨) طبقات السلمي (ص: ٣٣٨).

(٩) تاريخ مدينة السلام (١٦/٥٦٣).

(١٠) طبقات السلمي (ص:٣٤١).



وهو القائل: كيف يصح لك التوحيد وكلما ملكتَ شيئًا ملكك، وكلما أبصرتَ شيئًا أسرك؟[١]

١٦. **أبو سعيد بن الأعرابي (.... – ٣٤١).**

بصري الأصل، سكن مكة، وكان في وقته شيخ الحرم، ومات بها[٢].

أسند الحديث ورواه، وكان ثقة[٣].

يقول: المعرفةُ كلها الاعترافُ بالجهل، والتصوفُ كله تركُ الفضول، والزُّهدُ كله أخذُ ما لا بد منه وإسقاطُ ما بقي، والمعاملةُ كلها استعمالُ الأولى فالأولى من العلم...[٤].

١٧. **جعفر بن محمد الخلدي (ت: ٣٤٨).** أسند الحديثَ ورواه [٥].

١٨. **عبدالقادر الكيلاني (٤٧١-٥٦١).**

قال ابنُ الجوزي: «دخل بغداد فسمع الحديث من أبي بكر أحمد بن المظفر بن سوسن التمّار، وأبي القاسم علي بن أحمد بن بيان الرزّاز، وأبي طالب بن يوسف، وتفقَّه على أبي سعد المُخرِّمي، وكان أبو سعد قد بنى مدرسةً لطيفةً بباب الأزَج[٦] ففُوِّضتْ إلى عبدالقادر فتكلَّم على الناس بلسان الوعظ، وظهر له صيتٌ بالزُّهد، وكان له سمتٌ وصمتٌ، فضاقتْ مدرستُه بالناس، فكان يجلسُ عند سور بغداد مستندًا إلى الرباط، ويتوبُ عنده في المجلس خلقٌ كثيرٌ فعُمِّرت المدرسةُ ووُسِّعتْ،

---

(١) طبقات السلمي (ص: ٣٤٧).
(٢) طبقات السلمي (ص: ٤٢٧).
(٣) طبقات السلمي (ص: ٤٢٧).
(٤) طبقات السلمي (ص: ٤٢٨).
(٥) طبقات السلمي (ص: ٤٣٤).
(٦) تُعرف اليوم بباب الشيخ.



وتعصَّبَ في ذلك العوامُّ، وأقام في مدرسته يدرِّس ويعظ"[١]. وقال: "تفقَّه على أبي سَعد المخرِّمي، وسمع الحديث، ثم لازم الانقطاعَ عن الناس في مدرسته مُتشاغلًا بالتدريس والتذكير"[٢].

١٩. **أحمد بن علي الرفاعي (٥٠٠-٥٧٨).**

ذكرَه الذهبي في الطبقة الثانية والعشرين من كتابه "المُعين في طبقات المُحدِّثين" فقال[٣]: "القدوة الشيخ".

***

مظاهر ارتباط الزُّهد بالحديث في المدرسة العراقية

يتجلى هذا الارتباطُ في مظاهر متعددة، أذكر منها خمسة مظاهر، فمنها:

١- تأليفهم في الزُّهد، ومِن ذلك:

- الزُّهد للمُعافى بن عمران الموصلي (ت: ١٨٥).
- الزُّهد لأحمد بن حنبل (ت: ٢٤٣).
- القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١).
- رسالة الجوع له.
- رسالة الورع له.
- رسالة التواضع والخمول له.
- قصر الأمل له.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٨/ ١٧٣).
(٢) مناقب الإمام أحمد بن حنبل (ص: ٧٠٧).
(٣) (ص: ١٧٧).



- الزُّهد للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣)[١].

ونجدُ هذا في كتاب "روح العارفين من كلام سيد المرسلين" للخليفة الناصر لدين الله العباسي (٥٥٣-٦٢٢)، وفيه (٧١) حديثًا خرَّجها له العلماء من روايته.

ومن ذلك الحديث الثامن: "لا تنظروا إلى من فوقكم، ولكن انظروا إلى من هو دونكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعم الله عز وجل عليكم".

والحديث العشرون: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل".

والحديث الثالث والعشرون: "كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا".

والحديث الثامن والأربعون: جاء رجل من الأنصار فقال: "يا رسول الله مَن أكيس الناس وأكرم الناس؟ قال: أكثرهم ذكرًا للموت، وأشدهم استعدادًا له، أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة"[٢].

٢-ومن المظاهر: تأليفُهم في المعاملات الربانية:

- للإمام أبي علي الحسن بن أحمد ابن البنا البغدادي الحنبلي (٣٩٦-٤٧١): "المعاملات والصبر على المنازلات" وهو أجزاء كثيرة، ذكره ابن رجب[٣].

٣-ومن هذه المظاهر: تأليفُهم في أخبار الشيوخ وأخلاقهم، وهي كتبٌ في غاية الفائدة، ومنها:

---

(١) وطُبع منتخب منه.

(٢) وقد وصلتْ إلينا نسخةٌ من هذا الكتاب (روح العارفين) منقولة من نسخة الأستاذ ابن علوان الأسدي الحلبي، ومقروءة عليه سنة (٦١٢) بمسجده مسجد الأشراف بحضرة باب الأربعين بحلب (يُعرف اليوم بباب الحديد)، والنسخة في المتحف البريطاني.

(٣) انظر الذيل على طبقات الحنابلة (١/٧٨).



- "أخبار الشيوخ وأخلاقهم" لأبي بكر أحمد بن محمد المرُّوذي (ت: ٢٧٥)، وهذا كتاب تتعينُ قراءتُه على أهل الحديث وطلابه[١].
- "الفوائد والأخبار والحكايات" لابن حمَكان الهمذاني نزيل بغداد (ت: ٤٠٥)[٢].
- رسالة الأولياء لابن أبي الدنيا.
- رسالة مجابي الدعاء لابن أبي الدنيا.
- حديث الهميان لمحمد بن جرير الطبري.
- وفي الطيوريات (من انتخاب السِّلفي) أخبارٌ كثيرةٌ في ذلك.
- ومن ذلك: جامع الأنوار في مناقب الأخيار: تراجم الوجوه والأعيان المدفونين في بغداد وما جاورها من البلاد، للشيخ عيسى صفاء الدين البندنيجي (ت: ١٢٨٣).

٤-ويظهر هذا الارتباط في تراجم المُحدِّثين في تاريخ بغداد وذيوله، ومن ذلك:

- السؤالات ومُدوَّنات كلمات المُحدِّثين في الرجال.

مثالُ هذا ما جاء في "كلام يحيى بن معين في الرجال" رواية الدقاق[٣]: سمعتُ يحيى يقول: كتبَ الثوري إلى الفزاري: إني أحذِّرك هذا الأمرَ وشهرتَه -يعني الحديث-.

وما جاء في موضع آخر[٤]: "سمعتُ يحيى يقول: قال أيوب: إذا ذُكر الصالحون كنتُ منهم بمعزلٍ".

---

(١) طبع منه الجزء الأول، والثالث.

(٢) طبع منه الجزء الأول.

(٣) (ص: ٢٩).

(٤) (ص: ٨١).



- وجاء في سؤالات أبي بكر الأثرم أحمد بن حنبل[1]: سمعتُ أبا عبدالله يسأل عن قول النبي ﷺ: أعوذ بك من الفقر، كيف هذا، وفي الفقر ما فيه من الفضل؟ فقال: إنما استعاذ النبيُّ ﷺ مِن فقر القلب.
- وهذا الفلاس يقول في كتابه "علل الحديث"[2]: سمعتُ يحي [يعني ابن سعيد] يقول: سمعتُ شعبة يقول: فُتِنَ الناسُ بقبر عبدالله بن غالب، وكان يوجدُ منه ريحُ المسك".

***

٥. **ويظهر كذلك في أماليهم الحديثية** كما في "أمالي ابن سمعون" (٣٠٠-٣٨٧).

***

ومن مظاهر هذا الارتباط: روايتُهم الكتبَ المؤلفةَ في الزُّهد والورع وتصحيح المعاملة، ويُنظر: "مشيخة سراج الدين القزويني"، ومن الكتب التي ذكرَها:

- إحياء علوم الدين للغزالي.
- آداب الخلوة والعزلة للشيخ ركن الدين أحمد السمناني.
- آداب المُريدين لعبدالقاهر السهروردي.
- الزُّهد للإمام أحمد بن حنبل.
- قمع الحرص بالقناعة والصبر تحت حكمها والطاعة لأبي بكر الخرائطي.

وأول بابٍ في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للخطيب البغدادي: "باب النيّة في طلب الحديث". بدأه بقوله: "يجبُ على طالب الحديث أنْ يخلص نيته في طلبه، ويكون قصده بذلك وجه الله سبحانه"[3].

---

(١) (ص: ٣٢).
(٢) (ص: ١٤٣-١٤٤).
(٣) الجامع (١/ ٨٠).

والباب الثاني: "ذكر ما ينبغي للراوي والسامع أنْ يتميزا به من الأخلاق الشريفة"[١].

وأختمُ قولي بشعرٍ للحافظ الخطيب البغدادي، هو من الشعر الزُّهدي:

لا تغبطنَّ أخا الدنيا بزُخرفِها   ولا للذةِ وقتٍ عجّلتْ فرَحا

فالدهرُ أسرعُ شيءٍ في تقلُّبهِ   وفعلُهُ بينٌ للخلقِ قد وضَحا

كم شاربٍ عسلًا فيه منيّتُه   وكم تقلَّدَ سيفًا مَنْ بهِ ذُبِحا[٢]



(١) الجامع (٩٢/١).

(٢) الوافي بالوفيات (١٣١/٧).





تاريخ القرآن وتاريخ السنة

أ.د. محمد خروبات

أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة القاضي عياض بمراكش

أستاذ الحديث والسنة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فالربط بين التاريخين يأتي من موقع الربط بين الأصلين، ومن موقع حقيقة الوحيين، مثلما أن للقرآن تاريخا معتمدا فإن للسنة تاريخا محددا، فما هي حقيقة تاريخ السنة ؟

مثلما أن للقرآن حقيقتين فللسنة حقيقتين: حقيقة داخلية، وهي حقيقة السنة ومحتوياتها التي تتضمنها نصوصها المرفوعة إلى النبي ﷺ والتي رواها الصحابة عنه، والحقيقة الثانية هي المراحل والأطوار التي قطعتها السنة كتابة وتدوينا وتصنيفا عبر العصور، وهذه الحقيقة مستوحاة من تاريخ القرآن، **فللقرآن حقيقتان: حقيقة بنيوية توجد في آي الصحف وسوره، والحقيقة الثانية تقع خارج الآي والسور، وتشمل النزول والتنزلات والكتابة والجمع الأول والثاني (التدوين)، وهو ما يدرس ويدرَّس في علوم القرآن للطلبة الباحثين والمبتدئين.**

نريد هنا أن نتكلم عن "تاريخ السنة" من موقع الحقيقة الخارجية، التي هي حقيقة أساسية ومهمة، من جهلها فقد جهل حقيقة السنة النبوية.

السنة اليوم أحوج ما تكون إلى تدقيق تاريخها وتأطيره والدفع به إلى مجريات التعلم والتقين بيانا لها، وكشفا عن حقيقتها الزمنية، لأنها لم تحل بالمكان بلا زمان،

ودفعا لمجمل التهم والشبهات التي أثيرت حول تاريخها، ومازالت شبه المستشرقين والمتأولين الجاحدين يغمزون السنة النبوية من هذه الجهة.

يمكن تأمل تاريخ السنة والتمييز فيه بين تأريخ التأصيل وتاريخ الخدمة والتكميل، ولا سيما في العصور الخيرية الثلاثة أو الأربعة، وقد يمتد ذلك إلى القرون الأخرى، نُميز إذن في تاريخ السنة بما يلي:

أ- التاريخ الذي له صلة بـ "الوحي"، وهذا التاريخ له بداية ونهاية، بدايته بعثة النبي ﷺ، ونهايته قبضه ﷺ، ويركز فيه على وحي السنة وعلاقتها بوحي القرآن ووجه الفرق بينهما.

ب- التاريخ الذي له صلة بالكتابة والتدوين من دون نسيان المحفوظ في الصدور، فالسنة كانت تُحفظ بالمحفوظ مثلما تُحفظ بالمكتوب، تبدأ هذه المرحلة خلال القرن الأول وبداية الثاني، نذكر أحاديث الأمر بالكتابة والنهي عنها، وحل الإشكال القائم بين الآثار التي أمر فيها النبي ﷺ بتقييد السنة وكتابتها والآثار التي جاءت بكراهة التقييد، ومحاولة عمر بن الخطاب في جمع السنن، وتنفيذ عمر بن عبد العزيز رغبة جده عمر في كتابة السنة وتدوينها،

ج- ثم ما وقع خلال القرن الثاني ومحاولة الخليفة العباسي في كتابة الموطأ وجعله ديوانًا ملزمًا للناس، وما تبع هذا من تأليف وتصنيف خلال هذا القرن والذي يليه، ويمكن لتاريخ السنة أن يمتد إلى العصر الحاضر.

لقد وُجدت السنة في التاريخ لتستمر فيه، وها هي مستمرة ولله الحمد، وقد قطعت أشواطا تاريخية عبر القرون، كلما اتّسعت دائرة الزمن كلما تباينت الجهود وتنوعت خدمة السنة النبوية، وقد تدخلت علومها في خدمتها.

ليس التاريخ غريبا عن السنة النبوية بل مصطلح التاريخ عُرف عند المحدثين، وهم أول من أطلقه، يقول سفيان الثوري: (**لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم**



التاريخ)(١)، وللحافظ السخاوي كتاب بعنوان (**الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**)(٢)، وهو إعلان صريح منه على توبيخ كل من عاب التاريخ أو ذمّه، ولا يعني التاريخ هنا غير معرفة أسماء وأنساب الرواة ومواليدهم ووفياتهم وبيان منازلهم من جهة الجرح والتعديل، وللبخاري كتاب سماه "**التاريخ**"، جعله كبيرا وأوسطا وصغيرا، والناس يقرأون الجامع الصحيح ولا يقرأون كتابه في التاريخ، فلو قرأوا التاريخ لخفّفوا من حدة الشطط والطعن، وللإمام يحي بن معين كتاب "**التاريخ**"، وقد جمعناه وضمّناه في أطروحتنا في الجزء الرابع من دراستنا لجهود أبي حاتم الرازي في خدمة السنة النبوية(٣)، وقد قارنّا هذه الرواية بالروايات الأخرى لتاريخه، وتواريخ أخرى عديدة، ويطلق على التاريخ الطبقات، وفي الطبقات مصنفات كما في التاريخ مصنفات أيضا.

إن الاهتمام بتاريخ السنة هو اهتمام بها وبما تضمنته من معارف لها صلة بالتاريخ.

من ميزة السنة النبوية أن تاريخها محمول فيها، فالحديث سند ومتن، والتاريخ موجود في السند، ومعلوم أن السند يبدأ من النبي ﷺ فالصحابي وهكذا إلى المصنِّف، وكلُّ رجل في السند يُمثل حلقة من الزّمن، يتدرّج فيها متنُ الحديث عبر التاريخ، فهذا هو التاريخ، تاريخ السنة جزء من السنة، معرفته معرفة بحقيقة السنة، والجهل به جهل بحقيقة السنة، والطاعنون اليوم يقفزون على هذه الحقيقة ليتقوقعوا في الحقيقة النصية، فيتأوّلون، ويُغالون مع العلم أن المُخرّجين للحديث لم يكونوا

---

(١) رواه الحافظ ابن الصلاح في المقدمة، النوع الموفى ستين، انظر مقدمة ابن الصلاح بشرح الحافظ العراقي، ص ٤٣٢، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الأولى ١٩٦٩م.

(٢) الكتاب محقق ومطبوع.

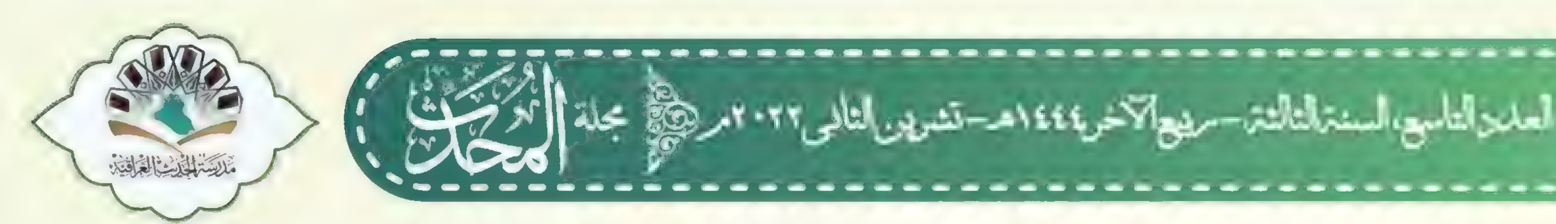
(٣) (التاريخ للإمام أبي زكريا يحيى بن معين"١٥٨هـ-٢٣٣هـ" في تجريح الرواة وتعديلهم برواية أبي حاتم الرازي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين: جمعا وترتيبا ومقارنة)، الجزء الربع من رسالة أبي حاتم الرازي وجهوده في خدمة السنة النبوية، محمد خروبات، المطبعة والوراقة الوطنية بمراكش، المغرب، الأولى، نونبير ٢٠٠٤م.



يخرّجون حسب هواهم، وحسب رغباتهم وما يعجبهم بل كانوا يطبقون مناهجهم وقواعدهم، وهذه قضية تحتاج إلى مناقشة عميقة.

والحمد لله رب العالمين.





حديث وتدبر

أ.د. إسماعيل خليل محمد
جامعة الانبار- كلية التربية القائم
مدير التحرير

روى البخاري بسنده عن حذيفة ﵁ قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا. وَإِذَا قَامَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

هذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ، يبين حقيقة ماثلة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، حقيقة حياة الإنسان التي تكون بين موتة صغرى وحياة قصيرة آيلة للكبرى وهي عبارة عن دقائق وثواني.

دقات قلب المرء قائلة له   إن الحياة دقائق وثواني

فالحديث يرشد إلى أن حياتك يا مسلم عبارة عن يوم واحد يمكنك أن تقدم فيه لنفسك -إن كَمُل ذلك اليوم-.

فالأيام ثلاثة:

- يوم مفقود: وهو الذي مضى وانتهى ولن يعود إلى يوم القيامة.
- ويوم موعود: يتأمله أن يأتي، وقد يأتي ولا يجد نفسه بين الأحياء.
- ويوم مشهود: وهو الذي يبعث فيه الإنسان من جديد حين ينعم عليه المنعم برد روحه إليه، ويبعثه من جديد لكي يستدرك ما فاته ويقدم



لنفسه، وهذه الحقيقة تتجسد في قول الخالق جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢].

وهذا الإرسال إلى أجل مسمى، وقد أخفى الله -جل وعلا- علينا ذلك الأجل لكي نجد ونجتهد ونهيئ الزاد لذلك السفر الطويل الذي يحط فيه الراحل رحاله في الجنة أو في السعير، وسرعان ما تأتي الموتة الصغرى الأخرى في نهاية هذا اليوم، وقد يتحول إلى الموتة الكبرى، فكم من نائم لم يستيقظ من نومه قد قضى الله عليه الموت. وحين يتدبر المسلم والمؤمن هذا الأمر ويجعله حقيقة ماثلة أمام ناظريه يجد ويجتهد، ويرى أن العمر ضيق كضيق يومه المشهود فلا يحتمل التفريط ولا التسويف، لذلك حين يُسأل المفرطون يوم القيامة ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٣]، وأكثر من ذلك قوله -جل شأنه- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الروم:٥٥]، ولكن عندئذ (ولات حين مندم).

وبالتجربة مع كثير من الناس حين يجعل هذا الأمر حاضرًا في عقله واهتمامه يجد ويجتهد ويراها فرصة قد لا تتكرر، كالذي يوضع في قبره وهو مسرف على نفسه يصيح وينادي ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] فحين يبعث من جديد يوميا يناديه صوت من أعماق خلده: ها قد عدت يا فلان فاعمل لنفسك وتدارك ما فاتك.



وسبب الغفلة قد ذكره الله جل وعلا في محكم تنزيله: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر:٣] وهل يعيش بعض الناس إلا كالأنعام بل هم أضل، يعيشون لشهواتهم وملذاتهم من المآكل والمشارب والتمتع بالنساء، وعندهم طول الأمل الذي ضيع عليهم حياتهم فضاعت الأيام والشهور والسنين وكأنها لحظات.

والموت أقرب إلى أحدنا من شراك نعله وأقرب إلينا من حبل الوريد.

اللهم إنا نعوذ بك من الغفلة وطول الأمل، ونسألك الإخلاص والعمل فيما يرضيك وحسن الختام، آمين ....






رد الاعتبار لطريقة أهل الحديث الأخيار

(ج٣)

أ.د. عمر عيسى عمران
أستاذ العقيدة في كلية العلوم الإسلامية
الجامعة العراقية

تقرَّرَ -في المقال السابق- أنَّ موجباتِ العقول كانتْ معيارًا كلاميًّا صارمًا عندَ ذوي النَّزعةِ الكلاميَّة مِنْ أهلِ الحديث، وأنَّها كانتْ سببًا رئيسًا لردِّ الحديثِ وعدمِ قَبولهِ إذا كانَ مَتنهُ مُخالِفًا لهَا على اعتبار أنَّ الشَّرع إنَّمَا وردَ بمُجوزاتِ العُقولِ، وأمَّا بخلافِهَا فلا.

ومِنْ هذا المُنطلقِ وضعَ المتكلمون قانونًا كُليًّا أسْمُوهُ بقانون الاحتمالاتِ العشرةِ المُخّلةِ بالفهم، وجَعلُوهُ سُلطانًا يَخضعُ الجميعُ لَهُ وينقادُ، وقبلِ التَّفصيلِ في ايضاحِ هذا القانونِ وملابسات توظيفهِ عَمليًّا لقبول كثير من الأخبار الصحيحة أو ردّها والتي تعد الفيصل بين طريقة أهل الحديث وطريقة المتكلمين كان لا بُدَّ مِنْ وقفةٍ ضروريةٍ نوضح فيها الأسباب الخفية وراء ذلك الإزورار عنْ طريقة أهل الحديث وإحداث طريقة أخرى في الصنعة الحديثية عرفت بطريقة الفقهاء والمتكلمين أو طريقة المتأخرين.

وقبل ذلك لا بّدَّ مِنْ توضيحِ جُملةِ أمورٍ نرى من المهم الوقوف عندها لما لها من علاقة وطيدة بما سنروم تقريره لاحقًا في ردِّ الاعتبار لطريقة أهل الحديث، وعلى النحو الآتي:

- **أول مَنْ فتش عن الإسناد، ومتى؟**

لعلَّ أول مَن فتش عن إسناد الحديث، ودقَّقَ فيه، وأسَّسَ لعلمِ الجرحِ والتَّعديل هو الإمام محمد بن سيرين (ت١١٠هـ)؛ فقد روى الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن سيرين قوله: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمّوا



لنا رجالكم، فيُنْظَرُ إلى أهل السنة فيُؤْخذ حديثُهم، ويُنْظَر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم[1]

وذكر ابن رجب الحنبلي (ت ٦٩٥هـ) أن محمد بن سيرين هو أول من انتقد الرجال وميز الثقات من غيرهم.

ونقل عن يعقوب بن شيبة (ت ٢٦٢هـ) قال: قلت ليحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ): أتعرف أحدًا من التابعين كان ينتقي الرجال كما كان ابن سيرين ينتقيهم؟ فقال برأسه: أي لا[2] .

قال يعقوب: "وسمعت علي بن المديني يقول: كان ابن سيرين ممن ينظر في الحديث ويفتش عن الإسناد، لا نعلم أحداً أول منه، ثم كان أيوب (ت ١٣١ هـ)، وابن عون (ت ١٥٠)، ثم كان شعبة (ت ١٦٠ هـ)، ثم كان يحي بن سعيد - القطان - (ت ١٩٨ هـ)، وعبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨)"[3] .

أمَّا الفتنة التي عناها محمد بن سيرين فهي فتنة المختار بن عبيد الله الثقفي[4]، وقد ظهر على العراق، وانتشر صيته وذاع أمره، وكان له من أصحاب الجدل من يضع له الحديث لنصرة بدعته، فتصدى له أهل السّنَّة وخاصة أئمة الحديث وذلك بعد موت الصّحابة رضوان الله عليهم.

يقول إبراهيم النخعي (ت ٩٦هـ): "إنما سئل عن الإسناد أيام المختار"[5].

---

(١) مقدمة صحيح الإمام مسلم . (١٥ / ١)

(٢) شرح علل الترمذي، لابن رجب: (٣٥٥/١).

(٣) شرح علل الترمذي لابن رجب (٥٢/١) .

(٤) المختار هو ابن أبي عبيد الثقفي لأبيه صحبة، ولد سنة الهجرة وليس له صحبة، خرج على أولاد علي بن أبي طالب وانضم إلى عبد الله بن الزبير في أول أمره ثم تظاهر بعد ذلك بالمطالبة بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما، ثم ادعى في آخر أيامه أن الوحي ينزل عليه، وإليه تنسب فرقة المختارية المتفرعة من الكيسانية التي تقول بأن الإمام بعد علي عليه السلام ابنه محمد بن الحنفية، وأنه حي وسيظهر في آخر الزمان، ويغلو بعضهم فيزعم ألوهيته، وقد قتل المختار على يد مصعب بن الزبير سنة (٦٧ هـ) .

(٥) العلل للإمام أحمد برواية ابنه عبد الله (٣ / ٣٨٠) فقرة ٥٦٧٣.





قال ابن رجب: "وسبب هذا أنه كثر الكذب على علي ﷺ في تلك الأيام "(١) .

● ترتيب الحكم على الأسانيد والمتون

تعد هذه المسألة- وهي ترتيب الحكم على الحديث بالنظر فيه متنا وإسنادا- هي من أهم مسائل هذا الفن، والناظرون في هذا الموضع قد انقسموا على ثلاث فِرَق:

الفرقة الأولى: فِرقة جعلَتْ جُلَّ هَمِّها النظرَ في الإسناد، فإذا وجدَتْه مُتصلا ليس في اتصاله شبهة، ووجدَت رجاله ممن يُوثق بهم حكمَتْ بصحة الحديث قبل إمعان النظر فيه، حتى إن بعضهم يحكم بصحته ولو خالف حديثا آخر رُواته أرجح، ويقول: كل ذلك صحيح، وربما قال: هذا صحيح وهذا أصحّ، وكثيرا ما يكون الجمع بينهما غير ممكن.

وإذا توقَّف مُتوقِّفٌ في ذلك نسَبه إلى مخالفة السُّنن، وربما سعى في إيقاعه في مِحنةٍ من المِحَن، مع أن جهابذة هذا الفن قد حكموا بأن صحة الإسناد لا تقتضي صحة المتن(٢)، ولذلك قالوا: لا يسوغ لمن رأى حديثا له إسناد صحيح أن يحكم بصحته إلا أن يكون من أهل هذا الشأن؛ لاحتمال أن تكون له عِلة قادحة قد خَفِيَتْ عليه.

---

(١) ينظر تفصيل ذلك (منهج النقد في علوم الحديث). نور الدين عتر.

(٢) قال ابن الصلاح كما في مقدمته: قولهم: هذا حديث صحيح الإسناد، أو حسن الإسناد. دون قولهم: هذا حديث صحيح أو حديث حسن. لأنه قد يقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولا يصح، لكونه شاذا أو معللا. اهـ. إلا أن الحافظ ابن حجر كما في النكت على كتاب ابن الصلاح تعقبه: بأن هذا لا يطرد مع كل محدث، بل يحتاج إلى استقراء طريقة كل محدث والنظر فيها. اهـ وقال السخاوي في فتح المغيث: قد يصح السند أو يحسن لاستجماع شروطه من الاتصال، والعدالة، والضبط دون المتن لشذوذ أو علة.... اهـ وقال ابن القيم كما في الفروسية: وقد عُلِم أن صحة الإسناد شرط من شروط صحة الحديث وليست موجبة لصحة الحديث، فإن الحديث الصحيح إنما يصح بمجموع أمور منها: صحة سنده، وانتفاء علته، وعدم شذوذه ونكارته، وألاّ يكون راويه قد خالف الثقات أو شذ عنهم. اهـ



وقد وصل الغُلوُّ بفريقٍ منهم إلى أن ألزَموا الناس بالأخذِ بالأحاديث الضعيفة الواهية، فأوقَعوا الناسَ في داهية، وهذه الفِرقة هم الغُلاة في الإثبات، وأكثرهم من أهل الأثر، الذين ليس لهم فيه - فضلا عن غيره - دِقَّةُ نظر...[١].

الفرقة الثانية: فرقة جعلت جلَّ همها النظر في نفس الحديث؛ فإذا راقها أمره حكمت بصحته، وأسندته إلى النبي ﷺ، وإن كان في إسناده مقال.

مع أنَّ في كثير من الأحاديث الضعيفة؛ بل الموضوعة ما هو صحيح المعنى؛ فصحَّ المبنى غير أنَّه لمْ تصح نسبته إلى النبي ﷺ.

الفرقة الثالثة: فرقة جعلت همها البحث عما صح من الحديث لتأخذ به؛ فأعطت حقها من النظر فبحثت في الإسناد والمتن معا بحث مؤثر للحق؛ فلم تنسب إلى الرواة الوهم والخطأ ونحو ذلك لمجرد كون المتن يدل على خلاف رأي لها مبني على مجرد الظن ولم تعتقد فيهم أنهم معصومون عن الخطأ والنسيان... وهذه الفرقة هي أوسط الفرق وأمثلها وأقربها للامتثال وهي أقل الفرق عددا، ومقتفي أثرها ممن أريد به رشدا[٢].

أقول: لقد ترك هذا التقسيم أثره البالغ في ظهور الصنعة الحديثية الكلامية الفقهية كما سيتضح ذلك بالتفصيل لاحقًا.

• معالم طريقتي أهل الحديث والكلام في منهجهم النقدي

سيأتي تفصيل هذه المعالم لاحقًا مع بيان مزايا ومآخذ الطريقتين؛ لكن هنا نشير إلى مقارنة عقدها تقي الدين بن تيمية نذكرها للفائدة المتوخاة في موضوع القانون الكلي الذي سنذكره أيضا في المقال القادم؛ إذ قال: وإذا قابلْنا بين الطائفتين- أهلِ الحديث وأهل الكلام- فالذي يَعِيب بعضَ أهل الحديث بحشوِ القول إنَّمَا يعيبهم بقلةِ المعرفة، أو بقلة الفهم:

(١) ينظر تفصيل ذلك: توجيه النظر إلى أصول الأثر، للشيخ طاهر الجزائري الدمشقي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة: ص١٩٠ وما بعدها.

(٢) توجيه النظر: ص٢٠٧-٢٠٨



- أما **الأول**: فلأنهم يحتجُّون بأحاديث ضعيفة، وموضوعة، أو بآثار لا تصلح للاحتجاج.

- وأما **الثاني**: فلأنهم لا يفهمون معنى الأحاديث الصحيحة، بل يقولون القولين المتناقِضَين، ولا يهتدُون للخروج من ذلك.

والأمر راجع إلى شيئين: إما رواية أقوال غير معتمدة يُظن أنها معتمدة، وإما أقوال معتمدة لكنهم لا يفهمونها؛ إذ كان اتِّبَاع الحديث يحتاج أولا إلى صحة الحديث، وثانيا إلى فهم معناه، كاتِّباع القرآن، والجهل يدخُل عليهم من تركِ إحدى المقدمتين، ومَن عابَهم من الناس فإنما يعيبهم بهذا.

ولا ريب أن هذا موجود في بعضهم، يحتجون بأحاديث موضوعة في مسائل الأصول، وبآثار مُفتعَلة، وحكايات غير صحيحة، ويذكرون من القرآن والحديث ما لا يفهمون معناه، وربما تأولوه على غير تأويله، ووضعوه على غير موضعه.

ثم إنهم بهذا المنقول الضعيف، والمعقول السخيف قد يُكفِّرون أو يُضلّلون ويُبدِّعون أقواما من أعيان الأمة، ويُجهّلونهم، ففي بعضهم من التفريط في الحق، والتعدّي على الخَلق ما قد يكون خطأ مغفورا، وقد يكون منكرًا من القول وزورًا، وقد يكون من البدع والضلالات، فهذا لا ينكره إلا جاهل أو ظالم، وقد رأيتُ من هذا عجائب[١].

أمَّا بالنسبة لأهل الكلام؛ فيصف طريقتهم ابن تيمية بقوله: (فَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَاسِعٌ لَا يَنْضَبِطُ هُنَا لَكِنَّ الْمَعْلُومَ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةِ: أَنَّ الْفَلَاسِفَةَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَعْظَمِ بَنِي آدَمَ حَشْوًا وَقَوْلًا لِلْبَاطِلِ وَتَكْذِيبًا لِلْحَقِّ فِي مَسَائِلِهِمْ وَدَلَائِلِهِمْ؛ لَا يَكَادُ - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - تَخْلُو لَهُمْ مَسْأَلَةٌ وَاحِدَةٌ عَنْ ذَلِكَ)[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى: ٤/٢٤.

(٢) المصدر نفسه ٤/٢٧ :



● تساهل بعض أهل الحديث

من القضايا التي أخذت على أهل الحديث وكانت مسوغا لدى البعض من النفور من طريقتهم والركون إلى طريقة الفقهاء والمتكلمين اطلاقهم التساهل في الحديث على أئمة مشهود لهم بالصدارة، ومع أن أهل الحديث كانوا مقيدين بالمنهج الصارم لعلم الجرح والتعديل إلَّا أن هذا الأمر اتخذ ذريعة ومسوغًا لخصوم الاتجاه الحديثي في رمي واتهام أهل الحديث بالتساهل والحشوية؛ فالذهبي يقول في ابن لهيعة (ت ١٧٤هـ) "الإمام الكبير قاضي الديار المصرية"[١].

ويروى عن الإمام أحمد أنَّه قال فيه: (ما كان محدث مصر إلَّا ابن لهيعة)، ولكن هذا الإمام الكبير المحدث لا يلبث أن يُرمى بالتساهل في نظر الذهبي نفسه؛ إذ يقول: (يروى حديثه في المتابعات ولا يحتج به)[٢].

ويقول: (ولم يكن على سعة علمه بالمتقن)[٣]، والسبب في ذلك هو ما قيده أهل الحديث عنه كما يقول الحطيب البغدادي: (كان يتساهل في الأخذ وأي كتاب جاؤوا به حدَّث منه فمن هنا كثرت المناكير في حديثه)[٤].

قال يحي بن حسان: (جاء قوم ومعهم جزء فقالوا: سمعناه من ابن لهيعة، فنظرت فإذا ليس فيه حديث واحد من حديث ابن لهيعة، فجئت إلى ابن لهيعة فقلت: هذا الذي حدثت به ليس فيه حديث من حديثك ولا سمعتها أنت فقط؟ فقال: ما أصنع؟ يجيئوني بكتاب ويقولون: هذا من حديثك فأحدثهم به)[٥].

هذا غيض من فيض من أخبار عن بعض أهل الحديث مَمَّن وظَّفها خصومُهم في الطعن في طريقتهم بعامة ومن ثم التنكب عن طريقتهم وبموجبها رمي أهل الحديث

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/٢٣٨

(٢) تذكرة الحفاظ، ١/٢٣٩

(٣) تذكرة الحفاظ، ١/٢٣٨

(٤) الكفاية، ص١٥٢

(٥) الكفاية الصفحة نفسها



عن قوس واحدة ووصفوا بأنهم أهل الحشو والظاهر والمناكير والغرائب والتساهل مع أن أهل الحديث هم أول من رصد التساهل وقاوموا المتساهلين.

● المتاجرة بالحديث

وهذا سبب آخر طعن بسببه في أهل الحديث، ولا نريد هنا ذكر من اشتهر بالوضع والكذب في المتاجرة بالحديث إنَّمَا نذكر هنا مَن التمسوه وطلبوه لمآرب دنيوية، وكانوا قليلًا واليوم هم كثير؛ فالمال يثني وما يزال أعناق الرجال، وكان لهؤلاء فلسفتهم الخاصة؛ فهم قد تجشموا المشاق وركبوا الأهوال، ورحلوا في طلب الحديث بينما كان سائر الآخذين عنهم قابعين في دورهم آمنين في سربهم فهم لا يريدون أن يكونوا سواء مع هؤلاء.

قال أبو الفضل بن طاهر المقدسي: سمعت أبا القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي صاحبنا يقول: (دخلت بغداد وسمعت ما قدرت عليه من المشايخ، فدخلت صريفين فكنت في مسجدها فقال: كان أبي يحملني إلى أبي حفص الكتاني، وابن حبابة وغيرهما، وعندي أجزاء فقلت: أخرجها لي حتى أنظر إليها، فأخرج إليَّ حزمة فيها كتاب علي بن الجعد بالتمام مع غيره من الأجزاء فقرأته عليه، ثم كتبت إلى أهل بغداد، فرحلوا إليه وأحضرته للكبراء من أهل بغداد، وأحضره قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني، وكل من سمع من الصريفيني فالمنة لأبي القاسم، وفي بعض ألفاظ هذه الحكاية من طريق آخر: أن الأصول التي أخرجها كانت بخط ابن الصقال وغيره من العلماء، وأنه سمع منه أبو بكر الخطيب، وكان ثقة محمود الطريقة صافي الطوية)[١].

● التحديث بالغريب

وهذه أيضاً من المشكلات التي قام بتضخيمها المناوئون لطريقة أهل الحديث والنفخ فيها من أجل تجهيلهم وبيان خواء طريقتهم وضعف مسلكهم، حيث حرص

---

(١) معجم البلدان لياقوت ٣/٣٨٥





بعض المنتسبين للحديث على التحديث بغريب الحديث بصورة تحمل كل معاني النكارة مع أن أهل الحديث هم أول من عرى هؤلاء وفروا منهم .

قال أمية بن خالد: "قلتُ لشعبة إنَّك تحدث عن محمد بن عبيدالله العَرْزمي، وتدع عبدالملك بن أبي سليمان العَرْزمي وهو حسن الحديث، قال: من حسنها فَرَرْتُ"[١].

والفرار من التحديث بالغريب كان أصدق تعبير عن تخوف العلماء من الكذب في الحديث أو ادعاء السماع الذي يقع فيه رواة الغرائب والمناكير ساهين، أو متعمدين حيث يركب هؤلاء الرواة الأهوال لطلب الحديث ملتمسين غرابته قبل صحته، باحثين عن ندرته قبل اتصال سنده؛ ليباهوا به الخاصة، ويتعالوا به على العامة، وتجريح النُقَّاد لرواة الحديث طلباً للغرائب وحرصاً عليها يبدو أمراً طبيعياً، فما أسرع الفضيحة إلى الكذاب يكشف بها الستر عن نفسه[٢]! حتى إذا افتضح وعُرِفَ عنه ذلك كان من عقوبته أنْ يردَّ عليه صدقه ولا تذكر محاسنه[٣]، ولا يقبل حديثه بعد ذلك أبداً[٤].

● جهل الرواة

والحديث عن جهل الرواة وصل غاية جعلت من صنعة المحدثين عند الخصوم تكأة يتكئون عليها في تسخيف أهل الصنعة مع أن النقاد في الصنعة كانوا يشترطون معرفة الرجال وتاريخهم وطبقاتهم والعناية بمواليدهم ووفياتهم.

قال ابن الصلاح: "روينا عن سفيان الثوري أنه قال: لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"، وروينا عن حفص بن غياث أنه قال: "إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين"، يعني احسبوا سنه وسن من كتب عنه، وهذا نحو ما روي عن

---

(١) الكامل في الضعفاء: (ج٥/ص٣٠٢).

(٢) كما قال سُفيان الثوري (- ١٦١ هـ): «مَنْ كَذَبَ فِي الحَدِيثِ افْتَضَحَ». " الكفاية ": ص ١١٧.

(٣) وقد رَوَوْا عن عبد الله بن المبارك (- ١٨١ هـ) أنه قال: «مِنْ عُقُوبَةِ الكَذَّابِ أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِ صِدْقُهُ»، ورأى غيره أنَّ «مِنْ عُقُوبَةِ الفَاسِقِ المُبْتَدِعِ ألاَّ تُذْكَرَ لَهُ مَحَاسِنَهُ». انظر: " الكفاية ": ص ١١٧.

(٤) " الكفاية ": ص ١١٨؛ علوم الحديث ومصطلحه، صبحي الصالح: ص٦٩.



إسماعيل بن عياش قال: "كنت بالعراق فأتاني أهل الحديث فقالوا: ههنا رجل يحدث عن خالد بن معدان فأتيته؛ فقلت: أي سنة كتبت عن خالد بن معدان؟ فقال: سنة ثلاث عشرة -يعني ومائة-، فقلت: أتزعم أنك سمعت منه بعد موته بسبع سنين؟ سمعت منه بعد موته بسبع سنين؟ قال إسماعيل: "مات خالد سنة ست ومائة".

روينا عن الحاكم أبي عبد الله قال: "لما قدم علينا أبو جعفر محمد بن حاتم الكشي وحدث عن عبد بن حميد سألته عن مولده فذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين، فقلت لأصحابنا: سمع هذا الشيخ من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة" [1].

هذه الأسباب وغيرها كانت السبب الرئيس التي بمقتضاها تم الطعن في طريقة المحدثين ووسمهم بأهل الحشو وغيره من الصفات المشعرة بضعف عقولهم ومسلكهم وقلة فهمهم، وهذا الحكم من مسالك غير أهل الصواب، المجانبين للحق والإنصاف.



(١) الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح رحمه الله تعالى، إبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، ثم القاهري، الشافعي (المتوفى: ٨٠٢هـ) المحقق: صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد، ط١/ ١٤١٨هـ ١٩٩٨م: ١٣/٢ بترقيم المكتبة الشاملة الحديثة.



(القسم الثاني)

إيقاع الصوت ودوره في تحقيق الدلالة في الأحاديث القدسية

"تكرار الحروف و التنوع الأسلوبي في الأحاديث القدسية"

أ. د عقيد خالد العزاوي

الجامعة المستنصرية

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

في الأحاديث القدسية تتكاملُ الحروف؛ لتؤدي دلالتها، فالكلمة محصلةُ ما في أصواتها من إيقاع دلالي، ينتجُ عنها حضورٌ مفعمٌ بالطاقة الدلالية، وهذا ما سنقف عنده في هذا المبحث من خلال الحديث عن مظاهر إيقاع الصوت في الأحاديث القدسية.

أوّلًا: تكرار الحروف.

يؤدي تكرار الحروف دورًا أساسيًّا في خلق حالةٍ من الجو الدال لمعنى الحديث، وتكرار ما في الحديث ليس بعبثيٍّ؛ إنما تقودُه فكرة الحديث ومضمونه، وتوجهه الدلالة الضمنية، خالقًا دلالة إيحائية أخرى.

ولنقف عند الحديث القدسي الآتي، وهو قول رسول الله ﷺ: "**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقرَّبت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيتُه هرولةً، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة، ثم لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة**"[1].

---

(١) الأحاديث القدسية، عمر محمد، ص ٦١٤.

نجدُ في الحديث السابق أن صوت الراء هو الصوت الماثل بقوة، وقد تكرر في الكلمات: عشر، أغفر، تقرب، شبرًا، تقربت، ذراعًا، تقرب، ذراعًا، هرولة، قراب، الأرض، لا يشرك، مغفرة، فمن سمات حرف الراء المعروفة عند اللغويين التكرار، فطبيعته عند النطق به يلتقي طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، ولم يكن حضورُ هذا الصوت عبثًا؛ إنما جاء لتحقيق دلالة، وهي بثُّ معنى طلب العودة إلى الله، واللجوء إليه، بصورة تكرارية، وعدم اليأس والملل والقنوط من رحمة الله – عز وجل- فالله تعالي يفرح بأوبة عبده إليه، ويكون أشد فرحًا حين يكون العبد أوابًا، كثيرَ الرجوع إلى الله.

ثمَّ إن في الحديث لطيفةً أخرى يمكن أن نشيرَ إليها، وهي تتعلق بحضور بصوتي السين والشين، وكلاهما ذو طبيعة مهموسة، ونجدهما في قوله ﷺ: "**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها**". فالحديث القدسي السابق قابل صوت السين في كلمة (حسنة) بصوت الشين في كلمة (عشر)، وقابل بين (سيئة) بقوله (سيئة)، فيمكن القول بناءً على ذلك بأنَّ حرف السين المهموس في كلمة (حسنة) قوبل بحرف الشين الذي من أخص صفاته – غير الهمس- التفشي، وقابل في حديثه عن جزاء السيئة بين صوت السين وصوت السين أيضًا؛ ما يدلُّ دلالة واضحة أنَّ أثر الحسنة يعم وينتشر ويتوالدُ ويتفشى هذا الأثر، لا كمثل السيئة، وهذا من تمام رحمة الله – عز وجل- وعظمة عدله، إذ يقرب الناس من فعل الحسنات، ليزدادوا يقينًا أنَّ فعل الحسنات يعظم عند الله، وأنَّ كرم الله أعظم حين يبعث الإنسانُ نفسه على فعل الحسنات ويأمرها بالخير.

ومن مواضعِ مجيء صوت الراء مكررًا أيضًا، قوله ﷺ فيما يرويه عن الله – عز وجل-: "**قرصت نملةٌ نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة تسبح الله**"[(١)].

فقد تكرر صوت الراء في كلمة قرصت، أمر، قرية، أحرقت، قرصتك، أحرقت، وهذا الراء ذو الطبيعة التكرارية يوحي بتدرج الأمر، وانتقاله من مرحلة إلى أخرى، فكلمة (قرصت) تشي بانتقال أثر القرص، من سطحي إلى مؤذي، وكلمة (أمر) تشي أيضًا بأنَّ الأمر قد كان من نبيٍّ إلى

(١) الأحاديث القدسية، ص ٤٢٣.



أتباعه، فهنا تدرج أيضًا في انتقال الأمر من منزلة أعلى إلى أدنى، كذلك الفعل (أحرقت) يشي أيضًا بأنَّ الاحتراق تم على مراحلَ إذ يبدأ من بداية القرية إلى المنتصف إلى النهاية، وهذا هو التدرج.

كذلك لا يخفى ما في المفردات السابقة من قوة الأثر الناجم عنها، وهذا ما عبَّر عنه الحديث القدسي بتكراره صوتَ الراء.

كذلك تؤدي أصوات المد دورًا في تشكيل الإيقاع الصوتي؛ فإطالة الصوت تشوق القارئ وتجذب انتباهه، ونجد ذلك في مثل ما رواه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه فيما رواه عن النبي محمد ﷺ عن ربه – عز وجل- قال: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، و أنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم و إنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم و إنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم و إنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَه"[١].

يأتي هذا الحديث في مقام بيان حرمة الظلم بين الناس، فالله قد حرمه على نفسه، وجعله بين الناس محرمًا، فلا ينبغي لهم أن يتظالموا، هكذا يأتي هذا الحديث بسرد أوامر الله وشرعه خطابًا للناس على عموم توجهاتهم وأحوالهم، لأن غرضه أن يبني مجتمعًا متكافلًا تشمله المحبة والتسامح، ونقف عند بيان الأصوات التي مثلتْ حضورًا تكراريًّا أدَّى دورَه على مستوى النص، وذلك في مثل:

(١) الأحاديث القدسية، ص ٤٨٣.





أولًا: تكرار صوت المد في (يا النداء)، متبوعةً بقوله: عبادي؛ حيث انتساب الكلمة للضمير، في دليلٍ على أنَّ الله – عز وجل- ينادي على عباده في مقامٍ خطير يستوجبُ الانتباه، وإعمال الجوارح؛ لتلقي الأمر الإلهي، فاستوى النداء للقريب والبعيد؛ ليشمل عباد الله كافَّة.

ثانيًا: كذلك تكرر صوت المد (الياء) في الكلمات: استهدوني، استكسوني، استغفروني؛ دليلٌ على أنَّ الله هو الملجأ والمرجع في طلب الهداية والاكتساء والمغفرة، فالله – عز وجل- يفتح باب التوبة؛ ليعود إليه كل مقصر مذنب، وليطلب منه العبدُ ما شاءَ، فالله مجيب المضطر إذا دعاه.

ثالثًا: يُلاحَظُ تناسقُ الأصواتِ في مقامِ عرضِ خطاب الله – عز وجل- معَ عباده، يمكن أن نقف عند ذلك من خلال المخطط الآتي:

استهدوني ← أُهدكم استطعموني ← أُطعمكم

استكسوني ← أكسكم استغفروني ← أغفر لكم

هذه أربعة أفعالِ أمر، تأتي بوتيرةٍ واحدة؛ لتفيد دلالةً واحدةً، وهي دعوة الله لعباده بالتضرع والتوجه إليه طالبين الهداية والطعام والكساء والمغفرة، وقد أعقبها الله – عز وجل- بالنتيجة المترتبة على ذلك بقوله: أهدكم، وأطعمكم، وأكسكم، وأغفر لكم، فإجابة المؤمن لربه إذا تحققتْ تأتي مقابلها إجابة الله – تعالى- بأمرِ الطلب نفسه، فمثلًا إذا طلب العبد الهداية، تتحقق الهداية، وإذا طلب الطعام يتحقق الطعام، وكذلك الأمر في الاكتساء والمغفرة، ما يعني أنَّ أمرَ إجابة دعوة المؤمن ليست عسيرةً ولا مستحيلةً، فكرم الله ورحمته أجلُّ من أنْ يُحصر أو يعد، فما على المؤمن إلى التوكل والاعتماد على الله، والتوجه إليه بقلب خاشع، لينال ما يأمل، وما يرجو.

واللطيف في الحديث السابق أنَّه جاء بالأفعال السابقة على ترتيب محدد، فمقصد الحديث من هذا الترتيب يتحقق إذا تأملنا السبب، وبرأينا يمكن أن نقول: إنَّ الهدايةَ هي أول



الطريق للجوء إلى الله، فإذا عرفَ المؤمنُ ربه، وآب إليه واهتدى، فإنَّه يؤمنُ حقًّا بأنَّ مفاتيحَ الرزق كلّها بيده – تعالى- فيلجأ إليه طالبًا ما يقيمُ به حياتَه، وما يكفل استمرار بقائه تحقيقًا لخلافته في الأرض وعمارته لها، ثم جاء بالمغفرة أخيرًا؛ لأنَّ العبد تصدرُ منه الذنوب والآثام، خاصةً إذا ازَّيَّنت الدنيا أمامَه، ففي حالته هذه قد يظهر له الشيطان زينة الدنيا ويُتبعه في ملذاتها، وليس من أمرٍ ينقذه منها إلا العودة لله – عز وجل-.

ونتأمل الحديث القدسي الآتي، نجدُ فيه احتكام الأصوات وسبكها معًا لتتآلف وتؤدي دورًا مقصودًا من غرض الحديث وفكرته، حيث يقول فيه رسول الله ﷺ: "إن الله عز وجل بعثني رحمة وهدى للعالمين وأمرني أن أمحق المزامير والكفارات يعني البرابط والمعازف والأوثان التي كانت تعبد في الجاهلية و أقسم ربي بعزته لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من خمر إلا أسقيته مكانها من حميم جنهم معذبًا أو مغفورًا له ولا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي إلا أسقيتها إياه من حظيرة القدس ولا يحل بيعهن ولا شراؤهن ولا تعليمهن ولا تجارة فيهن و أثمانهن حرام"[(١)].

يكشف الحديث عن المحرمات التي تفسد الإنسان والمجتمع، وتسلبُ منه أخص خصوصيات وجوده، وهو التفرغ لعبادة الله –عز وجل- بالقلب والجوارح، ذلك لأن القلب إذا استولتْ عليه المعاصي والآثام تحوَّل من نقاء مقصده في أداء رسالته مع الله إلى مضغة صدئة لا تستجيب لأوامر الله – تعالى-.

لذلك جاء رسول الله ﷺ بهديه ورحمته ليمحقَ كل أشكال المعاصي والذنوب؛ ليعود القلبُ نقيًّا في أداء رسالته، وفي توظيفِ كلمة (أمحق) حضورٌ صوتي قويٌّ دالٌّ على أثر ما يقوم رسولنا الكريم ﷺ من صحوة النفس وإيقاظ الضمير، لذلك جاء الكلمة معبِّرةً ودالة على ذهاب الشيء كله حتى لا يُرى منه شيء، للتأكيد على أنَّ رسالة النبي ﷺ جاءت لتحرير الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتبيين طريق الحق لهم؛ ليكونوا صالحين أنقياء ينفعون مجتمعاتهم ودورهم فيها.

---

(١) الأحاديث القدسية، ص٤٤٤.



ثانيًا: التنوع الأسلوبي في الأحاديث القُدسية

ما يميز الأحاديث القُدسية تنوع الأساليب وتشكيلاتها حسب مضمون السياق، وهو ما يفتح في ذائقة التلقي فضاءً واسعًا من الفكرة التي يرسمها الحديث في ألفاظه وتراكيبه، فنجد في الحديث القدسي أحيانًا أكثر من أسلوبٍ يشد الانتباه، وهذا التنوع الأسلوبي مصدره أمورٌ عدة، منها: الأسلوب القصصي الذي يقوم عليه نسيج الحديث القدسي، والحوار الذي ينهض المعنى على أساسه، ونقف عند بعض الأحاديث القدسية؛ لنُجلي قيمة التنوع الأسلوبي في تحقيق الإيقاع الصوتي.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ: "رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ خَفَضَهُ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: "عَجِبْتُ لِمَلَكَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ نَزَلَا إِلَى الْأَرْضِ يَلْتَمِسَانِ عَبْدًا فِي مُصَلَّاهُ فَلَمْ يَجِدَاهُ، ثُمَّ عَرَجَا إِلَى رَبِّهِمَا فَقَالَا: يَا رَبَّنَا، كُنَّا نَكْتُبُ لِعَبْدِكَ الْمُؤْمِنِ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ مِنَ الْعَمَلِ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ قَدْ حَبَسْتَهُ فِي حِبَالَتِكَ فَلَمْ نَكْتُبْ لَهُ شَيْئًا فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: " اكْتُبُوا لِعَبْدِي عَمَلَهُ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ، وَلَا تُنْقِصُوهُ مِنْهُ شَيْئًا، عَلَيَّ أَجْرُهُ، احْتَبَسْتُهُ، فَلَهُ أَجْرُ مَا كَانَ يَعْمَلُ"[1].

إنَّ الحديث السابق ينطلقُ من موقفٍ بؤريٍّ يصعدُ به من خلاله إلى حدثٍ آخرَ مُشكِّلًا وحدةً متكاملةً من عناصرَ يسوقها غرضُ الحديث القدسي السابق، ففي بدئِه كما يروي الراوي تصويرٌ لحال النبي ﷺ في إصداره الحديث القدسي؛ إذ يرفعُ رأسَه ثمَّ يُخفضُه، وهذا ما استدعى استغراب الصحابة ﵃ وسؤالَهم النَّبي ﷺ: لمَ صنعتَ ذلك؟ وفي ذلك مؤشرٌ واضحٌ على أنَّ ما سيخبرُ به النبي ﷺ سيكون محلَّ تأثيرٍ في النفوس، فبدءُ الخبرِ هنا أوحى بأنَّ الموقفَ سيؤدي إلى موقفٍ آخرَ يتَّصلُ به وسيكون الثاني موجَّهًا إلى سياقٍ يتصلُ.

وإذا أردنا تتبُّع مسارِ الحدث، يمكن أنْ نستدركه بالشكل الآتي:

(١) الأحاديث القدسية، ص ٣٢٧.



الحدث الأول ← عجبُ النبي ﷺ من ملكينِ نزلا إلى الأرض يلتمسان عبدًا في مصلَّاه، فلم يجداه.

الحدث الثاني ← عرجا إلى الله، والحديث عن هذا الرجل

الحدث الثالث ← أمر الله للملكين ألا ينقصا من عمل العبد شيئًا





مفاتيح السنة النبوية

-القسم الثالث-

الدكتور عماد محمد عبدالله

دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية جامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه أما بعد.....

مازال الحديث موصولاً حول مفاتيح التعامل مع الحديقة الغناء (السنة النبوية المطهرة) والتي بتحقيقها ينضبط الفهم والسلوك مع النصوص النبوية المطهرة، وبفقدانها يكون الغلو والتفلت.

سابعاً: فهم السنة في ضوء الأسباب والملابسات.

النظر في ظروف الحديث الشريف وملابساته وسياقاته عنصر أساسي في التعامل مع السنة النبوية فهو يعين:

أ-على كيفية تنزيل الأحكام في مكانها المناسب.

فالحديث النبوي يأتي أما ليدفع مفسدة، أو ليجلب مصلحة، أو ليعالج مشكلة، أو ليصحح خطأ، وهذا بدوره يحتاج إلى النظر في كتب الشراح مثل: الإمام النووي على مسلم، أو ابن حجر على البخاري وغيرهم ثم النظر في مقاصد الشريعة وحكمها، وهذا المفتاح كان يتعامل معه الصحابة رضوان الله عليهم فهذا:

(١) **ذو النورين عثمان بن عفان** ﵁ حيث تغير موقفه من: (ضالة الإبل)، لما وجد مصلحة الأمة في ذلك وتغيرات أحوال الناس، وجاء الفقهاء من بعده أمثال الإمام أبو حنيفة فقد كان يأخذ في ضوال الإبل بمذهب عثمان بن عفان ﵁ حيث كانت تترك ضوال الإبل قبل عثمان ﵁ وقد علل ذلك الإمام أبوحنيفة: «وَتَأْوِيلُهُ عِنْدَنَا أَنَّهُ كَانَ فِي الِابْتِدَاءِ فَإِنَّ الْغَلَبَةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ لِأَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ لَا تَصِلُ إلَيْهَا يَدٌ



خَائِنَةٌ إذَا تَرَكَهَا وَاجِدُهَا، فَأَمَّا فِي زَمَانِنَا لَا يَأْمَنُ وَاجِدُهَا وُصُولَ يَدِ خَائِنَةٍ إلَيْهَا بَعْدَهُ فَفِي أَخْذِهَا إحْيَاؤُهَا وَحِفْظُهَا عَلَى صَاحِبِهَا فَهُوَ أَوْلَى مِنْ تَضْيِيعِهَا» [1].

(٢) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجمعة للناس على صلاة التراويح، فعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ رضي الله عنه،أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فِي رَمَضَانَ إلى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ. يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ. فَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَانِي «لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ»، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْب قَالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ، فَقَالَ عُمَرُ«نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ» [2].

ب-يساعد على سداد الفهم واستقامته.

فمعرفة الأسباب والملابسات والسياقات يعين على الفهم المنضبط فإنه: «إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية أو السورة عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها، فلم يتعد ذلك فيها، وإذا جهل فيما أنزلت احتمل النظر فيها أوجها. فذهب كل إنسان مذهبا لا يذهب إليه الآخر، وليس عندهم من الرسوخ في العلم ما يهديهم إلى الصواب، أو يقف بهم دون اقتحام حمى المشكلات، فلم يكن بد من الأخذ ببادي الرأي، أو التأويل بالتخرص الذي لا يغني من الحق شيئا، إذ لا دليل عليه من الشريعة، فضلوا وأضلوا.

ومما يوضح ذلك ما خرجه ابن وهب عن بكير أنه سأل نافعا: كيف رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: يراهم شرار خلق الله إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين. فسر سعيد بن جبير من ذلك، فقال: مما يتبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤]

ويقرنون معها: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١] فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه ومن عدل بربه فقد أشرك، فهذه الأمة مشركون فيخرجون فيقتلون ما رأيت، لأنهم يتأولون هذه الآية. فهذا معنى الرأي الذي

---

(١) المبسوط محمد بن أحمد السرخسي ١١/ ١١، دار المعرفة – بيروت، الطبعة: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ- كِتَابُ الصَّلَاةِ فِي رَمَضَانَ- بَابُ مَا جَاءَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ ج ١ ص ١١٤ رقم ٣



نبه عليه ابن عباس، وهو الناشئ عن الجهل بالمعنى الذي نزل القرآن فيه. وقال نافع: إن ابن عمر كان إذا سئل عن الحرورية؟ قال: يكفرون[١].

ج- يغلق باب التوسع في تأويل النصوص النبوية.

لعل ما فعله الخوارج خير دليل على ذلك حيث أخذوا النصوص بغض النظر إلى أسبابها وسياقتها وأنزلوها على الصحابة ﵃ وأخرجوهم من الملة، واستحلوا دمائهم، تحكي: «كتب التاريخ أن جماعة من الخوارج التقوا عبد الله بن خباب بن الأرت ﵄ وامرأته حامل متم، فجادلوه وقتلوه وامرأته، وشقوا بطنها عدوانا وظلمًا، ووضع أحدهم تمرة في فمه، فذكَّره زميل له بأنها لا تحل له؟ لأنها من نخل رجل كتابي، فأسرع الخارجي بلفظ التمرة من فمه، كأنه يرى ذلك ذنبًا عظيمًا أكبر في الإثم من قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق،وكفى بذلك وما ذكره المؤرخون من تعسفهم في الفهم، وتأويلهم الباطل، وانحرافهم في القصد، دليلا على مجانبتهم وزيغهم عن الحق، والمنهاج الأوسط والأقوم»[٢].

وهذا المنزلق وقعت فيه جماعات التكفير في الوقت الحاضر فأنزلوا النصوص على غير أهلها فوقعوا في بدعة التكفير والتفجير بسبب التوسع في تأويل النصوص والغلو فيها.

د -يغلق باب الكلام عن مصالح متوهمة.

في نفس الوقت يرد هذا المفتاح على شُبه المغْرضين من العلمانيين والمستشرقين والمتفلتين، الذين يتهمون السنة بعدم الوفاء بمتطلبات العصر وأنها ليست لها القدرة على خوض معارك التغيير والوصول بالأمة نحو الإصلاح، ويرد على الطوائف التي تأول النصوص لخدمة مصالح متوهمة، ولذلك لابد من دراستها والتدبر فيها، لأن هذا سيحل كثير من المشكلات في الوقت الراهن.

هـ- تعين على مراعاة فقه الواقع

---

(١) «الاعتصام للشاطبي » (٦٩٢/٢): تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط١/ ١٤١٢هـ.

(٢) الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله (١ / ١٠٠): لعبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤١٨هـ.



تعين معرفة والملابسات والسياقات على مراعاة فقه الواقع فمن المهم جدا أن يعرف الفقيه الواقع الذى يعيش فيه ويعرف عادات الناس وطبائعهم وأعرافهم، لأن ذلك يساعده على الوصول المدعوين إلى ما فيه المصلحة ويساعده على اختيار البيانات النبوية المناسبة ويعلمة ذلك التدرج في توجيه فالسنة بأحكامها لم يعلمها النبي الصحابة مرة واحدة بل تدرج في تعليمها لهم حسب المناسبات والأحداث فلكل مقام مقال، وهذا الأمر يتجلى في وصية النبي الكريم ﷺ لمعاذ بن جبل عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ** « إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ »[(١)].

و- تعين على مراعاة فقه الأولويات

هذا المفتاح بدوره يعين على مراعاة فقه الأولويات بمعنى أن هناك أحاديث أولى من أحاديث فلكل موقف ما يناسبه ورسول الله كان يفسر القرآن حسب الحاجة، والواقعة،فقد يجد الفقيه قومًا استقر مجتمعاتهم وعاداتهم على أشياء، ولكن فعل غيرها أفضل، فإذا علم الفقيه أنه سيحدث فتنة إذا دعا إلى ترك هذا الأمر أو فعله فلا حرج أن يتركه لحينه، فقد ترك النبي ﷺ هدم الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم عليه السلام اجتنابًا لفتنة قوم كانوا حديثي عهد بجاهلية، **فعن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها:** "يَا عَائِشَةُ، لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ، فَهُدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ، بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ"[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ١٠٤/٢ رقم١٣٩٥ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ٥٠/١ (١٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، ١٤٧/٢ (١٥٨٦) وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها. ٩٦٨/٢ (١٣٣٣).



يقول الإمام النووي: معلقاً على هذا الحديث: «**وَفِي هَذَا الْحَدِيث دَلِيل لِقَوَاعِد مِنْ الْأَحْكَام مِنْهَا: إِذَا تَعَارَضَتْ الْمَصَالِح أَوْ تَعَارَضَتْ مَصْلَحَة وَمَفْسَدَة وَتَعَذَّرَ الْجَمْع بَيْن فِعْل الْمَصْلَحَة وَتَرْك الْمَفْسَدَة بُدِئَ بِالْأَهَمِّ؛ لِأَنَّ النبي ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ نَقْض الْكَعْبَة وَرَدَّهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَوَاعِد إِبْرَاهِيم عليه السلام مَصْلَحَة، وَلَكِنْ تُعَارِضهُ مَفْسَدَة أَعْظَم مِنْهُ، وَهِيَ خَوْف فِتْنَة بَعْض مَنْ أَسْلَمَ قَرِيبًا، وَذَلِكَ لِمَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ فَضْل الْكَعْبَة، فَيَرَوْنَ تَغْيِيرهَا عَظِيمًا، فَتَرَكَهَا ﷺ**»[(١)].

ثامناً: التحري والدقة في النقد وإصدار الأحكام.

هذا المتفاح من أهم المفاتيح في واقعنا لما نراه من التسرع في رد بعض الأحاديث حتى وصل الأمر إلى الكتب الصحيحة،وأضرب هنا مثال لمن يتهجمون على أصح الكتب بعد كتاب الله (البخاري ومسلم) وهو نقد حديث: «لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة»: والذي نقد هذا الحديث الأستاذ أحمد أمين في كتابه: "فجر الإسلام" وقد رد عليه فارس السنة والمنافح عنها وهو: (الدكتور مصطفى السباعي في كتابة الماتع السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) فيقول: هذا حديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث، وفهم منه المؤلف أن مراد الرسول ﷺ، الإخبار بانتهاء الدنيا بعد مائة سنة ومن هنا حكم عليه بالوضع، لمخالفته للحوادث التاريخية والحس والمشاهدة..[(٢)] ولذلك علينا ألا نخوض في أحاديث رسول الله بهوانا ولنأخذ وصية ابن القيم عندما قال:

وخذ الصحيحين الذين هما ... لعقد الدين والإيمان واسطتان
و اقرأهما بعد التجرد من هوى ... وتعصب وحمية الشيطان
واجعلهما حكما ولا تحكم على ... ما فيهما أصلا بقول فلان
واجعل مقالته كبعض مقالة الأ ... شياخ تنصرها بكل أوان
و انصر مقالته كنصرك للذي ... قلدته من غير ما برهان
قدر رسول الله عندك وحده ... والقول منه إليك ذو تبيان

---

(١) شرح النووي على مسلم (٤/ ٤٨٧) أبو زكريا النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢/ ١٣٩٢هـ.

(٢) «السنة ومكانتها للسباعي ط الوراق» (ص٣١٠)



ماذا ترى فرضـــا عليك معينــا ... إن كنت ذا عقـل وذا إيمـــان
عرض الذي قالـــوا على أقواله ... أو عكــس ذاك فذانك الأمران
هي مفرق الطرقـــات بين طريقنا ... وطريق أهل الزيغ والعــدوان
قدر مقـــالات العباد جميعهم ... عدما وراجع مطلع الإيمـــان[١]

تاسعاً: توثيق الأحاديث النبوية.

لابد لفهم السنة من معرفة صحة الحديث من خلال الكتب الصحيحة[٢]، ومعرفة: (مصطلح الحديث)[٣] وخاصة علم مختلف الحديث[٤]، وعلم الناسخ والمنسوخ[٥]، وعلم غريب الحديث[١]، وهذه العلوم تساعد بدورها أيضاً على التوفيق والترجيح عند التعارض.

---

(١) نونية ابن القيم=الكافية الشافية (١ / ٢٥٥):

(٢) أوّل مصنف في الصحيح المجرد صحيح البخاري. ثم مسلم، وهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم، والبخاري أصحهما وأكثرهما فوائد، واختص مسلم بجمع طرق الحديث في مكان. وسنن أبي داود والترمذي والنسائي، تلك أصول خمسة لم يفتها إلا اليسير... وأقسام الصحيح. أعلاه ما اتفق عليه البخاري ومسلم، ثم ما انفرد به البخاري، ثم مسلم اثم ما على شرطهما، ثم ما على شرط البخاري، ثم مسلم، ثم صحيح عند غيرهما، وإذا قالوا صحيح متفق عليه أو على صحته فمرادهم اتفاق الشيخين. للمزيد يراجع «الترغيب والترهيب للمنذري » (١/ ٦) باختصار: ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي– مصر (دار إحياء التراث العربي - بيروت) ط٣/ ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م

(٣) موضوع علم الحديث دراية يشتمل على الراوي والمروي أو السند والمتن من حيث القبول أو الرد أو التوقف، فهو يبحث في حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وما يتصل بها من أحكام، كما يبحث في حال الرواة وشروطهم، وأنواع المرويات وما يتعلق بها من مسائل وأحكام. ندوة علوم الحديث علوم وآفاق ٥/ ٢، المؤلف: بحوث لمجموعة من المؤلفين.

(٤) إذا كان الحديث مُشكلاً في ظاهره مع آية قرآنية أو مع حديث نبوي آخر أو مع العقل أو مع الحس، فقدأُلِّفت كتبٌ في هذا الباب منها: كتاب (اختلاف الحديث) للإمام الشافعي، وكتاب (تأويل مختلف الحديث) لابن قتيبة، وأوسع هذه الكتب -وهو موسوعة مهمة جداً، ونافعة كذلك- كتاب (شرح مشكل الآثار) للطحاوي، وهو مطبوع في ستة عشر مجلداً. التخريج ودراسة الأسانيد: ١/ ١٤٧ لحاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني.

(٥) إذا كان الحديث موصوفاً بأنه ناسخٌ أو منسوخ فنرجع إلى المؤلفات في الأحاديث الناسخة أو المنسوخة المسندة من أمثال: (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار) للحازمي -وهو من أجلِّ كتب الناسخ والمنسوخ-، و(ناسخ الحديث ومنسوخه) لابن شاهين -وهو أيضاً كتابٌ مسندٌ مطبوع- التخريج ودراسة الأسانيد: ١/ ٤٨



عاشراً: الجمع والترجيح بين مختلف الحديث.

الجمع بين الأحاديث خاصة الصحيحة يحل مشكلة التضارب والتناقض التي يثيرها المغرضين والكارهين للسنة وفي الحقيقة فإن الحق واحد ولايتعارض وإن وقع نحاول أن نزيله أونقوم بالجمع والتوفيق بين النصوص

وهذا أولى من الترجيح حتى لا تهمل النصوص فالتعارض: «بين الحديثين قد يكون بحيث لا يمكن الجمع بينهما بوجه، كالناسخ والمنسوخ، فيُصار إلى الناسخ، ويُتْرَك المنسوخ، وقد يكون بحيث يمكن الجمع، ولكن لا يظهر لبعض المجتهدين، فيتوقف حتى يظهر له وجه الترجيح بنوع من أقسامه، أو يهجم فيفتي بواحد منهما، أو يفتي بهذا في وقت، وبهذا في وقت، كما يفعل أحمد في الروايات عن الصحابة.

وقد كان الإمام أبو بكر ابن خزيمة يقول: ليس ثَمَّ حديثان متعارضان من كل وجه، ومن وجد شيئا من ذلك فليأتني به لأؤلف له بينهما»[٢].

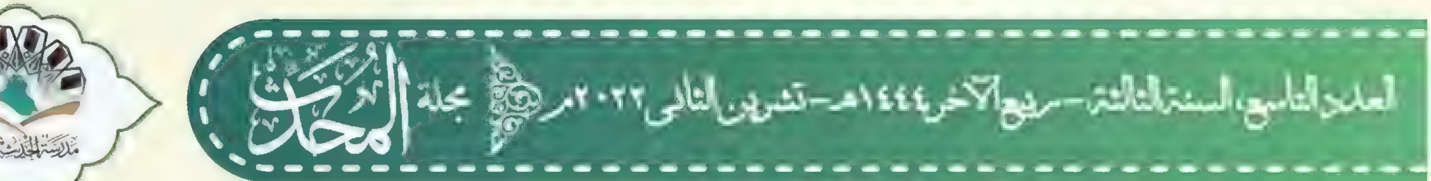
ولا شك أنه عندما تلتزم هذه الضوابط وتستخدم هذه المفاتيح العشرة في التعامل مع السنة النبوية فسيكون لذلك كبير الأثر في فهمنا وسلوكنا، فالسنة النبوية هي سفينة النجاة في زمن ضاعت فيه المعالم، واختلط الحابل بالنابل، فعلينا أن نعض عليها بالنواجذ، ونجتهد في تدبرها، وتعقلها، والعمل بها.

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يبصرنا بطرق الهداية، ويعصمنا عن مزالق الغلو والغواية، والحمد أولاً وآخرا.



(١) كتب غريب الحديث: وهي تعتني بالألفاظ الغريبة لغةً، أي التي لا يعرف معناها بسبب قلة استخدامها. ومن أشهر كتب الغريب كتاب (غريب الحديث) لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم التخريج ودراسة الأسانيد: التخريج ودراسة الأسانيد:.١/٣٧

(٢) شرح اختصار علوم الحديث - اللاحم: ١/ ٣٧٥د. إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن اللاحم.





الغزو الفكري: أسبابه، أهدافه، آثاره

الاستاذ الدكتور إسماعيل الزيدي
تدريسي في الجامعة العراقية

الغزو الفكري: عرفه الدكتور يوسف الواعي فقال: هو إغارة الأعداء على أمة من الأمم بأسلحة معينة وأساليب مختلفة لتدمير قواها الداخلية وعزائمها ومقوماتها وانتهاب كل ما تملك.

ويعرفه محمد قطب بأنه: يقصد بالغزو الفكري الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الاسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام.

ويعرفه الدكتور عبد الرحمن بن حبنكة الميداني: إنه عنوان اطلق على المخططات والأعمال الفكرية والتثقيفية والتدريبية والتربوية والتوجيهية وسائر وسائل التأثير النفسي والخلقي والتوجيه السلوكي الفردي والاجتماعي التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من اعداء الاسلام والمسلمين؛ بغية تحويل المسلمين عن دينهم تحويلاً كلياً أو جزئياً وتجزئتهم وتمزيق وحدتهم وتقطيع روابطهم الاجتماعية واضعاف قوتهم فكرياً ونفسياً ثم استعمارهم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً استعماراً مباشراً .

أسباب الغزو الفكري

للغزو الفكري أسباب كثيرة أذكر منها:

١- العداء الصليبي للإسلام والمسلمين .

يقول (وليم بلغراف) الانجليزي المسمى (الحرباء): متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربي يندرج في سبيل الحضارة، التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه.



ويقول (جلاد ستون) رئيس وزراء بريطانيا (**مادام القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان**).

٢- الاستعمار الغربي للمجتمعات الإسلامية .

تعرض المجتمع الإسلامي للغزو الأوربي من أجل الصناعة الغربية منذ أثمر عهد النهضة الأوربية ثمرته في التحرر والخلاص من سلطة الكنيسة وفي استرداد الإنسان الأوربي حرية الحركة في التجارة، وفي شؤون المال على العموم، وحرية التفكير والتوجيه السياسي

٣- تقدم الغرب العلمي .

لقد كان الغرب يملك تقدماً علمياً فائقاً، وتقدماً مادياً هائلاً وعبقرية تنظيمية مبدعة وروحاً من الجلد والصبر على العمل والانتاج، وقاموا باكتشافات واختراعات جديدة خدمت الانسانية؛ فاتجهت الأنظار إلى الغرب تتطلع إلى ما فيه من اكتشافات تأتي بجديد.

٤- الضعف الفكري .

لقد أصيب المجتمع الإسلامي بالضعف الفكري والتفكك الاجتماعي، وذاق من جراء تلك الإصابة التأخر والضعف الفكري، وهذا جر المجتمع الإسلامي إلى فوضى قاتلة وتناحر حقيقي.

وأساس انهيار الامم يبدأ من الداخل، وقد يأتي تدخل خارجي يعجل بالسقوط.

٥- تخلف الشعوب الإسلامية عن ركب الحضارة .

إن المجتمعات الإسلامية حين أصابها الضعف الفكري والتفكك الاجتماعي انشغلت بالأمور التافهة التي قادتها إلى التخلف عن ركب العلم والتقدم والحضارة.

والمجتمعات الإسلامية انصرفت عن تعاليم الإسلام التي تدعوا إلى العلم والمعرفة واستعمال العقل والفكر في كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى الطريق السليم.

أهداف الغزو الفكري

للغزو الفكري أهداف عديدة نذكر منها على سبيل الإجمال:

١- أن تظل الشعوب الإسلامية خاضعة لنفوذ القوات المعادية.



٢- أن تنتشر ثقافة الغرب بين المسلمين.

٣- أن تظل بلدان العالم الإسلامي خصوصاً تابعة للدول الكبيرة المتقدمة .

٤- الحيلولة بين الأمة وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من أسلافها، ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدول الكبيرة الغازية وسير أعلامها وقادتها.

٥- أن تزاحم لغة الغالب لغة المغلوب، فضلاً عن أن تحل محلها أو تحاربها بإحياء اللهجات العامية أو الإقليمية .

٦- أن تسود أخلاق الغرب على أخلاق الأمة .

٧- تصوير تراث الأمة الإسلامي بصورة التخلف وعدم قدرته على إمداد الحضارة بشيء مفيد وأنه لم يكن له فضل على الحضارات التي جاءت بعده.

٨- إحياء الجوانب الضعيفة في التراث الإسلامي خاصة فيما يتعلق بالخلافات السياسية .

٩- إضعاف مثل الإسلام وقيمه العليا من جانب، وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر.

١٠- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري.

١١- اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين وصرفهم عن التمسك بالإسلام.

١٢- تفريغ العقل والقلب من القيم الأساسية المستمدة من الإيمان بالله.

آثار الغزو الفكري

لقد خلف الغزو الفكري لأمتنا الإسلامية آثاراً بالغة الخطورة يجب على العلماء والكتاب تسخير عقولهم وأقلامهم لتخليص الأمة من هذه الآثار السيئة .ومن آثار الغزو الفكري نذكر:

١- استعمار العقل المسلم:

فقد أدى الغزو الفكري إلى جعل العالم الإسلامي مشرع الأبواب والنوافذ أمام الفكر الغربي والنهج الغربي والثقافة الغربية والفنون والآداب وغيرها، وباتت الأجيال تتعرض لعملية استلاب فكري وثقافي هائل



وبدأت تنتشر العولمة في البلاد الإسلامية وهي لا تعترف بالعقائد الدينية الأخرى من الإيمان بالله والأنبياء واليوم الآخر، بل تنشر الحياة المادية والإلحادية بأساليب في غاية الإغراء والتأثير في النفس الإنسانية .

وقاموا بنشر الأفكار الهدامة التي تدعو إليها بعض المؤتمرات والمنظمات العالمية، ونشر الكتب والكتيبات التي تدعوا إلى أديان باطلة واستغلال الإعلام لبث الأفكار التي يريدون .

٢- إثارة السعار الجنسي

حتى باتت ناره تجتاح كثيراً من البيوت وتهدد القيم، والقصص كثيرة عن اللواط والاغتصاب وزنى المحارم وغيرها كثير، ويتولى كبر إشاعة الفاحشة القنوات الفضائية التي تعرض ما يغري ويزين الفاحشة إضافة إلى ذلك الشبكة العنكبوتية من مواقع إباحية تدمر الأخلاق وتنحر القيم وتشوه الفطرة.

إن سبب تركيز الغرب وأدواته على الإثارة الجنسية هو إدراكه ما في ذلك من أثر تدميري شامل على الشباب يقول (جيمس روستون) في النيويورك تايمز: إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون في نهاية المطاف أكبر من خطر الطاقة الذرية.

ويقول آخر: لن يستقيم حال الشرق مالم تخرج المرأة سافرة متبرجة.

وأسلحتهم في هذا الباب كثيرة منها:

- الأفلام وخاصة الإباحية .
- المسلسلات الهابطة التي تزين الفاحشة
- برامج ستار أكاديمي .
- الأغاني الإباحية وتصويرها بطريقة (الفيديو كليب)
- المجلات الإباحية .
- القصص الغرامية.

٣- تجزئة الأمة الإسلامية .

حيث قاموا بتفتيت العالم الإسلامي إلى دويلات وأحدثوا تجزئة داخلية في كل بلد عربي أو إسلامي حتى ينشغلوا بأنفسهم وينسوا أنهم أمة واحدة .

٤- ومن آثاره العلمانية:



حيث ظهرت في المجتمع وللعلمانية صورتان وكلتاهما في القبح سواء

الصورة الاولى: العلمانية الملحدة وهي التي تنكر الدين كلية وتنكر وجود الخالق .

الصورة الثانية: العلمانية غير الملحدة وهي علمانية لا تنكر وجود الله، وتؤمن به لكنه ايمان نظري وتنكر تدخل الدين في شؤون الدنيا وتنادي بعزل الدين عن الدنيا، وهذه الصورة أخطر؛ لأن فيها تلبيسا على المسلمين، والمنادون إليها مع الأسف كُثر منهم الأدباء والكتاب والصحفيون ومنهم أساتذة في الجامعات، وكان لذلك أسوأ الأثر على بعض المسلمين:

- حيث دعوا إلى إقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة والاستعاضة عن القرآن بالقوانين الوضعية.
- العمل على إفساد التعليم وجعله خادماً للفكر العلماني .
- العمل على نشر الفواحش والفوضى الأخلاقية .
- سن القوانين التي تدعو إلى الاختلاط.
- إفساح المجال في وسائل الإعلام المختلفة للعلمانيين لنشر فكرهم المنحرف .
- إيراد القواعد الشرعية في غير محلها مثل الضرورات تبيح المحظورات .

٥- ومن آثاره توظيف الاعلام في محاربة الاسلام:

فثمة حرب ضروس أدواتها وسائل الإعلام فالمعلومة ركن أساسي في العملية الفكرية للإنسان، وقد اعتمدوا عدة أساليب للسيطرة على تفكير المسلمين منها:

- احتكار المعلومة
- فبركة المعلومة
- ربط الوسائل الإعلامية بأجهزته الاستخباراتية.





نسبية الزمن في القرآن والسنة وأثرها في تطور الفكر الإنساني

د. عطا الله مدب حمادي الزوبعي
مسؤول مدرسة الحديث العراقية
فرع جنوب بغداد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وآله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين أما بعد.

فقد أحببت أن أبين باختصار في هذا البحث بعض الأمور التي تتعلق بمفهوم نسبية الزمن في النصوص الشرعية، وكيف كشفت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن ذلك المعنى، وصححت المعنى الخاطئ للزمن عند الأمم السابقة، وفتحت الآيات والأحاديث الآفاق للأمم اللاحقة في تطوير المعرفة والبحث العلمي في موضوع نسبية الزمن. وسيكون الكلام في هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

أولا: مفهوم الزمن عند حكماء اليونان.

اختلف المفكرون قديما في مفهوم الزمن وتباينت أفكارهم في إدراك حقيقته والوقوف على كنهه وحد ماهيته، فذهب معظم مفكري اليونان إلى أن الزمن مطلق غير مقيد بغيره من جهة الوجود، ووجوده مستقل عن وجود الكون، بمعنى آخر لو انتهى وجود المادة الكونية فإن الزمن باق على حال، هذا كان اعتقاد معظم حكماء اليونان إلا القلة القليلة منهم.

ثانيا: حقيقة الزمن عند المسلمين.

جاءت الآيات القرآنية واضحة في معرفة حقيقة الزمن وبيان نسبيته بحركة المادة، وحسمت الخلاف القديم حيث ربطت الزمان بالمكان من حيث حركة المادة الكونية، فالزمان زمان المادة وجودا وعدما.



وبينت الآيات أن الزمن على الأرض هو نتيجة التتابع المنتظم للحركة بين الشمس والأرض، والذي يحدث الليل والنهار، فكان تقويم الزمن السنوي الشمسي بالأيام والليالي والشهور والفصول.

وكذلك الحال بالنسبة للتقويم القمري فهو نتيجة لتتابع الحركة المنتظمة بين الأرض والقمر.

ان ثبات التتابع والانتظام في الحركة الكونية بين الشمس والقمر من جهة والأرض من جهة أخرى هو لأجل تسهيل قياس الزمن من قبل الناس، وهذه نعمة عظيمة من الله تعالى، ولولا هذا الانتظام لاستحال قياس الزمن وحساب وحداته .

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء:١٢].

ومعلوم أن الليل والنهار لا يحدثان إلا نتيجة الحركة النسبية بين الشمس والأرض، وقد جعلها الله تعالى حركة ثابتة التتابع منتظمة الترتيب لتسهيل العد والحساب في التقويم الشمسي.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٥]، وهنا في هذه الآية التأكيد على المنازل الثابتة في تتابع الحركة لتسهيل حساب الزمن بالنسبة لحركة القمر، لذلك قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:١٨٩].

فالزمن هو زمن حركة المادة وهو مفهوم مجرد وليس شيئا ماديا ولكنه يقاس تبعا لحركة المادة .

ثالثا: الزمن عند الأوربيين في عصر النهضة:

تابع معظم علماء عصر النهضة كنيوتن وغاليلو ومؤيديهم من بعدهم تابعوا الفكر اليوناني القديم في عد الزمن خارج المادة الكونية مستقلا بوجوده عنها، في حين



ذهب آخرون منهم إلى الاعتقاد بأن الزمن شعور ذاتي مرتبط بالأحاسيس الإنسانية، وهذا الاعتقاد الأخير يتفق مع سابقه بفصل الزمن عن المادة الكونية ويفترق عنه بعده شيئا ذاتيا وليس موضوعيا.

ويبدو أن الأوربيين في بداية نهضتهم لم يطلعوا على الفكر الإسلامي في مسألة حقيقة الزمن، ولكن في مراحل لاحقة من التاريخ الأوربي كان هناك اتصال معرفي اكبر لأسباب كثيرة منها الاستشراق ومنها الاستعمار وغير ذلك.

واستمر الجدل في أوربا بعد الثورة الفرنسية في قضية مفهوم الزمن، وفي خضم الصراع الفكري في أوربا ظهرت النظرية النسبية الخاصة لأنشتين عام ١٩٠٥م، وصدقت النظرية النسبية المفهوم القرآني للزمن بكون الزمن زمن حركة المادة.

وبغض النظر عن مخرجات النظرية النسبية الحسابية والجدل الذي أحدثته في الأوساط العلمية فإنها أكدت مفهوم نسبية الزمن الذي جاءت به النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية وارتباطه بحركة المادة الكونية.

ولكن ما هو الجديد في النظرية النسبية؟.

وما هو أثرها الحقيقي في التطور الفكري والمادي على البشرية؟.

رابعا: الجديد في النظرية النسبية.

أما الجديد في النظرية النسبية فهو ادخال الضوء في المسألة بالافتراض.

فقد افترض أنشتين وجود ساعة ضوئية محمولة على كوكب أو جسم أو مركبة فضائية تسير بسرعة قريبة من سرعة الضوء ففي هذه الحالة سوف يحدث فرق كبير في الزمن بين ساعة ضوئية على الأرض ونفس الساعة على تلك المركبة التي سرعتها عالية جدا وافتراضية، هذه باختصار هي الفكرة الرئيسية التي قامت عليها النظرية النسبية.

وقد حصلت مشكلات كبيرة في هذا الموضوع منها معضلة التوأمين.

فلو تم وضع أحد توأمين في تلك المركبة الفضائية والتوأم الآخر على الأرض، فإن الأرضي سوف يرصد تباطؤا في الزمن عند شقيقه وبعد عدة سنوات سيكون عمر الأرضي أكبر من شقيقه المسافر في الفضاء.



وفي حقيقة الأمر نستطيع أن نقول أنه لا توجد مشكلة حقيقية فالقضية شكلية لأن ما يرصده الأول عن الثاني هو عين ما يرصده الثاني عن الأول فالمشكلة في قياس الزمن المرصود فقط عند كليهما بينما الزمن المحلي لكليهما هو زمن واحد وذلك لعدم وجود المرجعية الثابتة مطلقا في عملية الرصد حسب النظرية نفسها.

وحيث لا يمكن تطبيق النظرية النسبية الخاصة في الواقع لأن الفرق الزمني بين موقعين لا يظهر إلا بالسرع العالية جدًا يعني القريبة من سرعة الضوء وهذا محال الحصول حسب النظرية النسبية نفسها وذلك بسبب تحول الأجسام إلى طاقة هائلة وهذا ما عده بعض العلماء تناقضا أو على الأقل جدلا وافتراضا بعيدا.

فالجديد في النظرية النسبية هو المنطق الرياضي الذي وضعه أنشتين على شكل معادلات رياضية وقد أكدت نسبية الزمن الذي ذكره القرآن الكريم والسنة النبوية.

خامسا: أثر النظرية النسبية في التطور الفكري للبشرية.

وأما أثر النظرية النسبية في التطور الفكري للبشرية، فلا شك أن النظرية النسبية احدثت تطورا فكريا ثوريا كبيرا على البشرية وانهت الجدل في موضوع حقيقة الزمن حيث ووضعت معادلات رياضية في نسبية الزمن، فلم يعد أحد يناقش في حقيقة الزمن.

ولكن هل نسبية الزمن في الكون كانت موجودة حسابيا قبل أنشتين؟.

الجواب عن السؤال السابق بنعم فعلماء الفيزياء يدركون أن السنة على كوكب عطارد هي ٨٨ يومًا فقط من أيام الأرض والسنة على الزهرة ٢٢٥ يوما بينما السنة على المريخ ٦٨٧ يومًا أرضيًا، وهكذا الاختلاف في بقية الكواكب.

فإذا عاش انسان على المريخ مائة عام فإن عمره على الأرض قريب من مائتي عام.

وكذلك ساعات اليوم الواحد تختلف من مكان إلى آخر.

وقد أشار القرآن الكريم إلى نسبية الزمن في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧].

وقال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥].

وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ" .

وفي الصحيحين أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّمَ هُوَ؟ قَالَ: «القَتْلُ القَتْلُ».

كل هذه النصوص الشرعية تبين نسبية الزمن وذلك لارتباطه بحركة المادة الكونية.

من هنا نجد أن علماء الغرب وأقرانهم من أهل الشرق هم من تفاجأ بالنظرية النسبية وانبهروا بها وقد قلبت أفكارهم في مفهوم الزمن وأحدثت انعطافة كبيرة في الفكر الغربي وصححت مسار الفكر لديهم، وأكدت المفهوم القرآني لنسبية الزمن.

سادسا: أثر النظرية النسبية على صعيد التطور المادي التكنلوجي.

أقول إن النظرية النسبية هي نظرية ميكانيكية حولت ميكانيك نيوتن إلى حالة خاصة من ميكانيك الفيزياء الحديثة، حيث ربطت الزمان بالمكان وجعلت من الزمن بعدا رابعا لرصد الأجسام، وتعاملت معه كبعد رابع لحركة المادة ((الزمكان))، بينما كان الزمن مطلقا عند نيوتن في الفيزياء الكلاسيكية .

ولكن كل ما حصل ويحصل من تقدم في التكنلوجيا وهندسة الطيران والصواريخ والمركبات الفضائية هو ضمن ميكانيك نيوتن، لأن النظرية النسبية لا عمل لها إلا عند بلوغ الأجسام السرعة العالية جدا وهذا مستبعد في القياسات المادية في عالمنا الأرضي على الأقل، فلا عمل لها في العالم المتوسط وذلك لحصول طاقة وحرارة هائلتين عند السرعة الكبيرة تقوم بإحراق الجسم المتحرك وتفتيته ولو كان من الفولاذ .



وأعلى سرعة طيران مأهوله تم الوصول إليها لا تتجاوز ثلاثة آلاف كيلو متر في الساعة بينما سرعة الضوء تبلغ ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية.

فكل ما يجري من تطور في العالم الحركي هو لازال في حيز **الفيزياء الكلاسيكية**، لأن النظرية النسبية هي نظرية افتراضية تعمل في مجال الضوء والحركة الموجية والإشعاعات النووية وحركة الجسيمات ذات الكتلة الصغيرة جدا ((**العالم الصغير**)).

ويبقى العالم الكبير عالم النجوم والمجرات والكتل الكبيرة التي تتحرك في الفراغ الكوني بسرعة هائلة تصل بعضها إلى ثلاثمائة كيلو متر في الثانية بعيدة عن حسابات النظرية النسبية كذلك، وذلك لأن سرعتها وإن كانت كبيرة جدا إلا أنها لا تساوي إلا جزءا واحدا من مائة جزء من سرعة الضوء.

وهكذا تبقى **النظرية النسبية** بعيدة عن عالم الحركة المادية المنظورة، ولازالت فيزياء الميكانيك الكلاسيكي هي العاملة في عالمنا، هذا فضلا عن معارضة كثير من العلماء لمخرجات النظرية النسبية.

وهذا لا يقلل من أهميتها وآثارها الفكرية وعبقرية صاحبها الذي كانت له أبحاث أخرى في علوم الفيزياء النووية والرياضيات والاحصاء







مدخل إلى علم تحقيق النصوص

مكملات التحقيق

الحلقة الخامسة

أ.د. صالح حيدر الجميلي
مسؤول شعبة المخطوطات في مدرسة الحديث العراقية
أستاذ اللغة العربية وعلومها في كلية الإمام الأعظم

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

فإن هذه المقالة الخامسة في سلسلة مقالات التعريف بعلم التحقيق وإحياء تراث علمائنا جزاهم الله عنا وعن المسلمين كل خير عما رفدونا به من كتب متنوعة كانت نبراسًا لعقولنا، وهداية لقلوبنا، بعد أن منّ الله علينا بقراءتها وتعلّمها، وقد ختمنا في المقالة السابقة خطوات تحقيق النص المخطوط وبيان المنهج الأمثل الذي يتبعه المحقق للوصول إلى اصدار الكتاب كما أراده صاحبه رحمه الله تعالى.

أما مقالتنا الخامسة فستكون عن مكملات التحقيق، ونقصد بها الأمور التي يأتي بها المحقق خارج النص المحقق، وبها تتم الفائدة ويسهل على طلبة العلم حصولهم على مبتغاهم بيسر وسهولة وتشمل ما يأتي:

١. المقدمة:

نقصد بها مقدمة المحقق، وبها يبيّن أهمية المخطوط الذي يقوم على تحقيقه وذلك بذكر ما تحتويه واجهة المخطوط من إجازات، وتملكات، واهداءات، وأختام، وتعليقات أخرى تفيد بيان أهمية الكتاب وكيف حصل على نُسَخِهِ، والصعوبات التي



واجهته في ذلك، وكم عدد النسخ المتوافرة التي حصل عليها، والنسخ التي لم يتمكن من الحصول عليها على الرغم من توافرها لصعوبة الوصول إليها، كأن تكون في مكتبة الكونكرس الأمريكي أو في مكتبة خاصة (شخصية) يمتلكها شخص لا يسمح بتصويرها أو غير ذلك. ويوضح فيها ما يحفّ المخطوطة من مشكلات كقلة المعلومات المتوافرة عن المؤلف، أو عدم معرفة سنة وفاته، أو أن المخطوط حقق سابقا تحقيقا تجاريا، أو حقق على نسخة فريدة أو على نسخ غير واضحة، أو فيها نقص أو لم يكن التحقيق علميا. ووقع المحقق السابق في أخطاء كثيرة تستوجب إعادة التحقيق.

٢. الحواشي والشروح والتعليقات:

نجد في بعض المخطوطات وعلى جوانبها كتابات كثيرة منتظمة وغير منتظمة، وقد تكون من المؤلف نفسه، أو من تلاميذه أو ممن قرأها بعده أومن علماء قرأوها وسجلوا عليها شرحا لكلمة غامضة أو تعليقا على مسألة خلافية

فإن كانت من المؤلف فتكون على نوعين:

النوع الأول: يلزم المؤلف القارئ بأن يجعلها من المتن فيضع علامة مشتركة أمام الكلام الجديد ونفسها يضعها في مكانها الذي استدركه عند مراجعته النص فيكون ذلك ملزما للمحقق أن يدخل الكلمات المستدركة داخل النص في موضع العلامة.

أما **النوع الآخر**: وهي التعليقات والشروح التي وضح فيها المؤلف بعض الألفاظ الملبسة أو الألفاظ المترادفة أو الأسماء المتشابهة وغيرها فيستفيد منها المحقق ويمكن أن يشير إليها في الهامش لأهميتها والأمانة العلمية.

أما إن كانت هذه الأمور لغير المؤلف كأن تكون لعالم من العلماء ويمكن جمعها في كتاب مستقل. وقد تكون لأحد تلاميذه توضيحا لكلمة أو عبارة مبهمة أو تعليقا على مسألة فإن وجد فيها فائدة يشار إلى ذلك في الهامش؛ لأنها ليست من النص الأصل.



وقد نجد رموزًا معينة فعلينا معرفة دلالتها وتفسيرها. فإن كانت منتظمة نشير إلى ذلك في المنهج، وإن كانت مبعثرة ولها دلالات واضحة نثبت هذه الدلالات في الهامش مع الإشارة إليها.

٣. الفهارس:

وهي عبارة عن جداول يصنعها المحقق لبيان مواضع ألفاظ معينة، أو مسائل مشتركة، كالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والشعر والأعلام والألفاظ الغريبة وأسماء المدن والأنهار والحيوانات وأسماء القبائل، ومن المسائل الفقهية واللغوية والأصولية والعقدية وقد تصل إلى مجلدات كبيرة، وهي تعتمد على ثقافة المحقق وسعة المخطوط ومادتها. فكتاب سيبويه حققه المرحوم الدكتور عبدالسلام هارون بأربعة مجلدات وفهارسه مجلد كبير، ومسند الإمام أحمد خمسون مجلدا لكن فهارسه مجلدان، فقد صنع الدكتور عبدالسلام هارون فهارس كثيرة، وخصص فهرسا لمقابلة صفحات تحقيقه بصفحات طبعة بولاق (التي اشتهرت بمسائله وهذه خدمة كبيرة وفريدة قدمها المحقق للكتاب وللقراء أيضًا. وهناك فهرس المصادر والمراجع الذي لا يستغنى عنه في التأليف ولا في التحقيق ويكون ترتيب المصادر ألفبائيا على أن تضم بطاقة الكتاب اسم الكتاب الصريح كاملا مهما طال واسم المؤلف وسنة وفاته ورقم الطبعة، واسم المطبعة التي طبع فيها الكتاب، ومكان الطبع، وسنة طبعه الهجرية والميلادية. وهذا يدعونا إلى التذكير بأنّه لا حاجة لذكر بطاقة الكتاب في الهوامش بل نكتفي بذكر اسم الكتاب وإن تشابهت أسماء الكتب نذكر اسم المؤلف وسنة وفاته.

وفائدة الفهارس: لتمكين القارئ من الوصول إلى المعلومة بأسرع وقت وبأقل جهد أنواعها كثيرة تحددها مادة النص العلمية.

أما صناعتها: فقد اتفق أهل التحقيق على أن تكون الألفاظ والمسائل مرتبة ترتيبا ألفبائيا، مع ذكر الصفحة التي وردت فيها اللفظ أو المسألة على أن يكون الموضع الأول في الصفحة التي ذكرت فيها اللفظ أو المسألة لأول مرة، إلا فهرس الآيات القرآنية والشعر، فالآيات تسلسل بحسب تسلسل السور في القرآن الكريم، فالفاتحة أولا ثم



البقرة ثم آل عمران حتى أخر سورة، وداخل السورة الواحدة أيضا من الآية رقم (١) إلى الآية الأخيرة في السورة.

أما **الشعر** فيعتمد على حرف الروي (القافية) ولا يعد ألف الاطلاق من القوافي، ثم داخل القافية الواحدة يعتمد على حركة حرف الروي فنقدم الكسرة لأنها أقوى الحركات ثم الضمة ثم الفتحة ثم السكون. ويمكننا أن نعمل فهرسة خاصة للأبيات المنسوب وآخر للأبيات غير المنسوب ولأنصاف الأبيات فهرسا آخر ويمكننا دمجها.

٤. الدراسة:

وهي الأمور التي يقف عندها المحقق ويعلق عليها ويبين فيها أمورا كثيرة. منها:

- التحقق من صحة العنوان.
- نسبة الكتاب إلى مؤلفه.
- حياة المؤلف اسمه ونسبه والمناصب التي تقلدها وشيوخه وتلاميذه، مكانته بين العلماء ووفاته.
- مذهب المؤلف النحوي أو الفقهي أو العقدي: وهذا يتطلب الوقوف عليه من مسائل ناقشها في نصه المحقق، لا استقها من كتب التراجم. وهذا يعتمد على مادة النص المحقق فإن المادة إذا كانت لغوية فلا بد من بيان مذهبه اللغوي، وإن كانت فقهية لابد من بيان مذهبه الفقهي وغير ذلك.
- آراؤه التي انفرد بها.
- ترجيحاته.
- اختياراته.
- المآخذ عليه. سواء كانت علمية أم لغوية أم عقدية.
- ردوده على العلماء.



- منهجه في التأليف. نبيّن طريقة المؤلف في استقصاء المعلومات من مظانها أمانته العلمية، وأسلوب عرضه يختصر أم يتوسع، واستعماله للشواهد القرآنية والحديثية والشعرية وتفاصيل أخرى.
- موارد (مصادره) الكتاب من الكتب والأعلام. ونبين كيف ينقل بعزو أم من غير عزو ينقل نصوصا أم يتصرف بها وينقل معناها.

وكلّ ما يراه المحقق صالحا لإظهار قيمة المخطوط العلمية والأدبية؛ لكننا نرى اليوم في الدراسات العليا أنّ الطلبة المحققين يظنّون أنّ الدراسة تقتصر على حياة المؤلف وما يدور حوله من حياة اجتماعية وسياسية واقتصادية. وهذا خطأ واضح فالدراسة هنا تعني النصّ المحقق وما يحتوي من مادة علمية تدلل على علمية المؤلّف.

إنّ الدراسة في حقيقتها هي جهد الطالب الحقيقي وليس النصّ المحقق الذي يمكن لأي شخص أن يقوم بطبعه وإخراجه للنّاس من غير شهادة علمية، والأدّلة كثيرة.

٥. الإخراج الطباعي:

ونقصد به الإشراف على طباعة الكتاب، وإعادة قراءته قراءة متأنية- ويفضل أن يقرأ شخص آخر غير محققه؛ لأن المحقق سيقرأ بفكره ولا يدقق النظر إلى رسم الكلمة وشكلها. وتعدّ خطوة ضرورية وذلك:

- بكتابة النسخة بخط واضح ومراجعتها،
- تنظيم فقراتها وضبط هوامشها.
- مستوفية لعلامات الترقيم والشدّات، وضبط الحروف من التصحيف والتحريف.
- ضبط أرقام اللوحات المحقق، والارقام الجديدة للنص المحقق، ومقابلة الطبعات السابقة وأرقام صفحاتها، وغيرها من أرقام السطور والنسخ الأخرى التي لا أرى فيها حاجة.



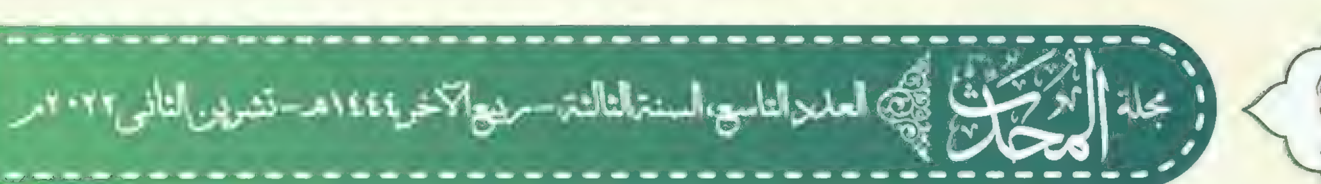
فالطباعة الجيدة والعناية بتفاصيلها وضبط النصّ سيخرج لنا كتابا جيدا نفخر به شكلا ومضمونا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر

- تحقيق النصوص ونشرها، أ د. عبدالسلام هارون.
- أصول البحث وتحقيق النصوص الشرعية، أ د محيي هلال السرحان





الرحلة في طلب الحديث
همة السلف الصالح

أ.م.د. علاء كامل عبد الرزاق العاني
التدريسي في جامعة الأنبار
كلية العلوم الإسلامية- قسم الحديث وعلومه
مسؤول مدرسة الحديث العراقية فرع الرمادي

لم يشهد التاريخ أمةً ارتحلت في طلب حديث نبيها مثل أمة الإسلام، وقد ضربوا لذلك أروع الأمثلة، وأعلى القيم، ورسموا للأمة من بعدهم طريقاً سهلاً ويسيراً للوصول إلى حديث خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليه، فما إن يسمعوا بإمام عالم إلا وضربوا له أعناق الإبل طمعاً وفوزاً بما في جعبته من العلم والحكمة.

قال إبراهيم بن أدهم: إن الله تعالى يرفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث.

وقال زكريا بن عدي: رأيت ابن المبارك في النوم، فقلت: ما فعل الله بك، قال: غفر لي برحلتي في الحديث.

وقد ذكر أهل السير أن هشام بن عمار عليه رحمة الله كان شغوفاً بطلب علم النبوة وهو صغير، وكان معاصراً للإمام مالك (عليه رحمة الله) فجاءه في رحلة شاقة طويلة -فاسمع لها يا طالب العلم وتأملها فلعل لك فيها عظة وعبرة- عن محمد بن الفيض الغساني قال: سمعت هشام بن عمار يقول: باع أبي بيته بعشرين ديناراً وجهزني للحج وطلب العلم، قال: فتوجهت من دمشق تاركاً أهلي ووطني رغبة في الحج إلى بيت الله ولقاء الأئمة أمثال مالك رحمه الله قال: فلما صرت إلى المدينة أتيت مجلس الإمام مالك ومعي مسائل -أعدَّ مسائل يريد أن يسأل الإمام فيها- قال: وأريد مع ذلك أن يحدثني، قال: فأتيته وهو جالس في هيئة الملوك، وغلمانه قيام



حوله، والناس يسألونه ويجيبهم، يتدفق كالبحر، قال: فلما انقضى المجلس قمت لأسأله وأطلب أن يحدثني، فاستصغرني ورآني لست أهلا للرواية.

فقال: حصَّلنا على الصبيان -يعني أنه لم يبقَ إلا الصبيان- يا غلام -لأحد غلمانه الذين حواليه- احمله، قال: فحملني كما يُحْمل الصبي، وأنا يومئذ غلام مدرك، فأخرجني.

يقول ابن جزرة: ودخل هشام ذات يوم على الإمام مالك بغير إذن وقال له: حدثني، فرفض الإمام مالك، يقول هشام: فكررت عليه وراددته فقال لغلامه: خذ هذا واضربه خمسة عشر سوطاً، قال: فأخذه وذهب به وضربه خمسة عشر سوطاً. فوقف يبكي على الباب حتى خرج الإمام مالك فإذا به يبكي، فقال له: ما يبكيك يا هشام! أو أوجعتك؟ قال هشام: إن أبي باع منزله بعشرين ديناراً، ووجه بي إليك لأتشرف بالسماع منك، فضربتني وظلمتني بغير جرم فعلته سوى أني أطلب حديث رسول الله ﷺ والله لا جعلتك في حلٍّ، لأسألنك بين يدي الله.

فتأثر الإمام مالك، وعلم أنه طالب حديث وجامع سنة بحق، فقال: يا بني! ما يرضيك؟ ما كفارة ذلك؟

فقال هشام: أن تحدثني بكل سوط ضربتنيه حديثاً عن رسول الله ﷺ، قال: فجلس الإمام وقال: حدثنا فلان عن فلان عن فلان، فسرد له خمسة عشر حديثاً، فقال بعدها: يا إمام! زد في الضرب، وزد من الحديث.

فضحك الإمام مالك وقال: اذهب.

فانظر يا طالب العلم! كيف عرفوا العلم وقدره، واستعذبوا العذاب في سبيل الحصول عليه، باعوا بيوتهم، وقطعوا الفيافي والقفار حتى وصلوا؛ لأنهم يعرفون أنه بواسطة العلم يُعْبد الله في الأرض على بصيرة.





النقد الحديثي عند ابن القطان الفاسي

(القسم الثاني)

التعريف بابن القطان الفاسي:

الباحثة: سلمى فنيدو
الصفة: طالبة في سلك الدكتوراه
المختبر: القيم والمجتمع والتنمية

لقد خلدت شخصية **ابن القطان الفاسي** ذكر المغرب وعلمائه في علمي العلل والرواية؛ ومثلت نتائج أبحاثه أدلة على حدوث تطور في مفاهيم مصطلحات علوم الحديث ومنهج تصنيفه، ترتب عنها آثار بارزة في عملية النقد، ولعل الاهتمام المبكر بكتاب بيان الوهم والايهام ليس إلا إشارة إلى الرؤية النقدية التي تميز بها هذا الرجل، فاهتمام النقاد والحفاظ في المشرق يؤكد المكانة التي احتلها من حيث التعليل والمنهج في التقعيد، والحاجة الماسة التي كانت بالعلماء لكتابه في ذلك الزمان.

ولقد كشفت موسوعة نقد الإمام أنظارا وآراء ونتائج انفرد بها باعتباره محدثا:

أولا: نظرته لمفهوم مصطلح الصحيحين:

إن ابن القطان الفاسي لا يذكرهما في كتابه بالصحيحين بل يقول: كتابا البخاري ومسلم، ودلت دراسات متخصصة أنه لا يقبل ما فيهما إلا إذا قام الدليل على صحته وفق منهجه قال رحمه الله: "**اعتمده أهل الصحيح منهم البخاري ومسلم**"[١].

(١) بيان الوهم والايهام: ٢٧٧/٥



فالصحيح عند ابن القطان الفاسي: "الحديث المسند المتصل بنقل العدل الضابط عن مثله إلى رسول الله ﷺ" فابن القطان لا يقبل مرسل الصحابي؛ فلا يحسن عنده أن نقول: "إلى منتهاه" كما قال جمهور العلماء .

ثانيا: أصول الحكم على الراوي:

يرى ابن القطان أن الحكم بالجرح والتعديل يؤخذ من المعاصر، فإن تعذر وعرفت عين الراوي فبدراسة مروياته اذا توفرت الكثرة التي تسمح بذلك، واعتمد على مذهبه هذا على أدلة منها:

- ان الناقد الغير المعاصر إنما يعرض حكمه بناء على اجتهاده؛ ولا يكون اجتهاده على حجه اجتهاد غيره لذلك نجد في كثير من المواضع يعقب بقوله " إنما نقبل روايته لا رأيه"[١]، وقال رحمه الله" ان لم يأت في توثيقه إياه بقول معاصر، أو قول من يظن به الأخذ عن معاصر له، فإنه لا يقبل منه، في رجل معروف، قد انتشر له من الحديث ما تعرف به حاله"[٢]
- اعتماد السند في التصحيح والتضعيف وليس كل طرق الحديث، فكل حديث أورده المؤلف يجب أن يحكم على سنده المعتبر لديه مع تحري ألفاظ ذلك السند.

أ-عبارات ابن القطان في نقد الرواة:

عبارات ابن القطان النقدية كثيرة، متنوعة، يمكن تصنيفها في استعماله لها، بحسب القلة والكثرة، وما بينهما فهي عنده أربعة أصناف:

- صنف كثير الاستعمال: "مجهول"، و" لا يعرف" و " لا يعرف حاله".
- صنف متوسط الاستعمال: "مجهول جدا"، "مجهول الحال"، "مجهول كأبيه"، مجهول كشيخه".
- قليل الاستعمال: مثل "لا يتحقق انه ..."، "فلان جهله ابن القطان".

---

(١) نفسه ٣/٨٩

(٢) بيان الوهم والايهام ٤/١٣٩





- نادر الاستعمال مثل: "ثقة نسب إلى غفلة"، "متروك"، "مجازف، كذاب"، "منكر الحديث"، "نكرة لا يعرف"، "لم نحفظه".

ب- نماذج نقد السند عند ابن القطان الفاسي:

قال البزار: نا عباد بن يعقوب –نا عبد الرحمن بن محمد الفراري قال نا شبيب بن شيبة عن قتادة عن عكرمة، عن ابن عباس قاتل: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يتشلشل وجهه دمًا، فقال له مالك؟، قال: يا رسول الله إنه مرت بي امرأة فنظرت اليها فلم أزل أتبعها ببصري فاستقبلني جدار فصدمني فصنع بي ما ترى، قال ﷺ "إن الله إذا أراد بعبد خيرًا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا، وإذا أراد بعبد شرًا، أمسك عليه ذنبه، حتى يوافي به يوم القيامة"، كأنه لا يعرفه، فإن شبيب بن شيبة وعبدالرحمان بن محمد الفراري العرزمي ضعيفان، النظر في أحكام النظر بحاسة البصر ٦٨ (حديث أنه ﷺ توضأ من بئر بضاعة " الشافعي وأحمد وأصحاب السنن والدارقطني والحاكم والبيهقي من حديث أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله : أنتوضأ من بئر بضاعة، وهي بئر يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن ؟ فقال رسول الله ﷺ: "إن الماء طهور لا ينجسه شيء"[1] الترمذي قال :"حديث حسن"، فأعلّه ابن القطان بجهالة راويه عن ابي سعيد واختلاف الرواة في اسمه واسم أبيه قال ابن القطان وله طريق احسن من هذه ثم قال ولحديث بئر بضاعة طريق حسن من غير رواية أبي سعيد من رواية سهل بن سعد سنذكره في باب الاحاديث التي ساقها صحاحًا أو حسانا، وهي ضعيفة من تلك الطرق، صحيحة أو حسنة من غيرها " وذكر حديث أبي سعيد في بئر بضاعة، وبينا العلة التي لأجلها لم يقل فيه : صحيح لكن حسن في باب الأحاديث التي لم يبين عللها .

ونذكر الآن هنا أن له اسنادًا صحيحًا من رواية سهل بن سعد قال قاسم بن أصبغ : حدثنا ابن الوضاح حدثنا أبو علي عبد الصمد بن أبي سكينة الحلبي بحلب قال حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه، عن سهل بن سعد، قالوا : يا رسول الله ؛

(١) سنن الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى ٢١٥ هـ كتاب الطهارة: "باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شيء"، ج١/٩٥



إنك تتوضأ من بئر بضاعة، وفيها ما ينجي الناس والمحايض والخبث، فقال رسول الله ﷺ "الماء لا ينجسه شيء" [١] ح ١٠٥٩وقد ارتضى ابن حجر ذلك ولم يعقب .

روى ابن أبي شيبة في مصنفه قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن المؤمل حدثنا عبد الله بن أبي حسين عن عطاء عن حبيبة بنت أبي تجزأة قالت : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بين الصفا و المروة، والناس بين يديه، وهو ورائهم، وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي وهو يقول "اسعوا فإن الله تعالى كتب عليكم السعي" فقال ابن القطان الفاسي "وعندي أن الوهم من عبد الله بن المؤمل، فإن ابن أبي شيبة امام كبير وشيخه محمد بن بشر ثقة، وابن المؤمل سيء الحفظ[٢] وقد نقل ابن عبد البر عنه هذا القول فقال: "سيء الحفظ".

قال رسول الله ﷺ: "احذروا بيتا يقال له الحمام، قالوا يا رسول الله ينقي الوسخ، قال: فاستتروا " قال ابن القطان: هذا صحيح ولا يضره إرسال من أرسله، فان انتشار الخبر، وتعدد الحاملين له هو الموجب لأن يروى تارة مرسلًا وتارة مسندًا، ورواته ثقات فلا نبالي بإرسال من أرسله" [٣].

من خلال الامثلة يتضح أن ما ضعفه ابن القطان قل ما يصحح، وما صححه ابن القطان قلما يضعف، فهو بصير بطرق الحديث عارف برجاله ناقد مميز صحيحه من سقيمه.

المبحث الثالث : نقد المتن عند ابن القطان الفاسي:

سأقتصر على نماذج من نقد المتن من خلال كتاب بيان الوهم والايهام الذي تتبع فيه أوهام عبد الحق الاشبيلي .

---

(١) بيان الوهم والايهام: ٣ /٣٠٨

(٢) المصدر نفسه: ١٥٥/٥.

(٣) النظر في أحكام النظر: ٨٨.





❖ باب ذكر احاديث يظن من عطفها على الآخر، أو إردافها اياها أنها مثلها في مقتضياتها وليست كذلك [(١)] .

روى ابن وهب عن مالك عن نافع عن ابن عمر ان رسول ﷺ قال: "الحمى من فيح جهنم فأطفؤها بالماء".

قال ابن وهب وسمعت مالكا يحدث عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ مثله، فقال أبو عمر بن عبد البر: هكذا عطفه ابن وهب على ابن عمر ولفظه "فاطفؤوها"، قال ابن القطان: ولست أعني هذا النحو وانما أعني أن يتضمن أحدهما ما ليس في الاخر، فيعطف عليه عطفا يوهم تساويهما، ويتبين المقصود في نفس الباب ان شاء الله.

❖ **باب ذكر أحاديث أغفل منها زيادات مفسرة أو مكملة أو متممة**[(٢)] .

يقول ابن القطان: اعلم أن الزيادات التي تجد في الأحاديث هي كثيرة جدا، ولكن ليس غرضنا في هذا الباب، فإن الزيادات إن كانت في معنى آخر فكأنها حديث أخر، ونحن لم نتعرض لذكر ما تركه من الحديث في الأحكام التكليفية، فإن هذا لو تتبع لم يصح لكثرته إن يكون بابا في كتاب بل كتابا قائما بنفسه. وإنما المقصود من الزيادات؛ ما يكون تفسيرا لمجمل، أو تتميم معنى ناقص، أو مكملا له على وجه وقد يكون ما يورد في هذا الباب زيادة في الحكم المقصود بيانه من رواية ذلك الحديث، وقد يكون من غيره ولم نذكر إلا ما هو صحيح أو حسن، أما الضعيف فهو كثير فمن ذلك حديث عمر في صفة الإيمان والإسلام، وسؤال جبريل الرسول ﷺ عن ذلك أغفل من أطرافه الصحيحة فيه -المفسرة لما قصد بيانه- ما ذكر الدارقطني من رواية يونس بن محمد -هو المؤدب- عن معتمر ابن سليمان عن أبيه عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر رضي الله عنهما. ذكر الحديث وفيه " الإسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج وتعتمر، وتغتسل من الجنابة وتتم الوضوء، وتصوم

---

(١) بيان الوهم والايهام: ١٤٣/٣.

(٢) بيان الوهم والايهام: ج٥٨١/٥.





رمضان، قال فإن فعلت هذا فأنا مسلم؟ قال نعم، قال صدقت وفيه أتدرون من هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم فخذوا عنه فوالذي نفسي بيده ما شبه علي منذ أتاني قبل مرتي هذه، وما عرفته حتى ولى ".

قال الدارقطني : هذا إسناده ثابت صحيح، أخرجه مسلم بهذا الإسناد يعني أن مسلما أورد هذا الإسناد عاضدا به، ولم يذكر متنه وفيه – كما ترى-زيادة : تعتمر وتغتسل وتتم الوضوء، وما ذكر من أنه لم يعلم به حتى ولى، وقوله خذوا عنه. وذكر أبو داود في سننه صحيحا أيضا من رواية علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن يحي بن يعمر عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما في هذا الحديث: "والاغتسال من الجنابة"

من خلال هذا الحديث وإن تعددت طرقه فهو ثابت صحيح عند ابن القطان ولم يعقب على متن الحديث كون الزيادات الموجودة فيه اعتبرها مكملة ومتممة للمعنى .

❖ **باب ذكر أشياء متفرقة، تغيرت في نقله أو بعده عما هي عليه** [١] .

ذكر في حديث سمرة: "كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه"، جعله من جملة أحاديث التسليمة الواحدة، وثبت أنه ليس منها لأنه أكمل مما أورده.

ومنه: "والزيت بالزيت" في حديث ابن عمر رضي الله عنهما وإنما "الزبيب بالزبيب"، يقول ابن القطان: وهذا لا أعده عليه فلعله تغير بعده، أو في بعض النسخ، ومنها في شهود الرضاع : قال رجل و امرأة " وإنما هو "أو امرأة".

ومنها أنه ذكر من طريق أبي داود حديث أبي بكرة أنه عليه السلام " كان إ ذا جاءه أمر سرور، أو بشر به خر ساجدا لله "، كذا هو في النسخ وهو عند ابي داود " خر ساجدا، شاكرا لله "

المتتبع لنقد المتن لدى ابن القطان يلاحظ أنه يأخذ التراجم واحدة واحدة، ويدرسها واحدة واحدة في سياق النص بعد أن يسوق طرق الحديث واختلاف ألفاظه

---

(١) المصدر نفسه: ج٢/١٨٥.






يستخلص إلى المتن المناسب، مع بيان التغيير الذي وقع فيه ثم يشير إلى المقصود من خلال تراجم الباب .

عند دراسة كلام ابن القطان في الرجال أو في تصحيح المتن وجدت أنه يتحلى بصفة الإنصاف فهو يدرس الشخص وحديثه بعقلية منصفة لا تحابي ولا تجامل.

الخاتمة

جال البحث في شخصية الباحث الناقد النظار ابن القطان الفاسي؛ فهو عالم بصير بفن النقد الحديثي حيث أضاف إلى مدرسة الحديث بالخصوص فقها جديرا بالنظر، فلم يكن ناقلا بل أبان عن حذق وتدقيق فهو يملك دررا نفيسة منهجية وعلمية من خلال مصنفاته التي شملت علوما مختلفة، إضافة أنه غير مفاهيم مصطلحات النقد بالتقييد كما وقع مع مصطلح الصحيح حيث أخرج قيد نفي الشذوذ كما أن التفرد بذاته له صلة بمفهوم الاضطراب وغيره من المفاهيم التي ميزت ابن القطان عن غيره من النقاد، فنظريته غيرت مفاهيم النقد لذلك نجد تعقيبات العلماء على ابن القطان كالذهبي والزركشي لكونهم لم يأخذوا بعين الاعتبار نظريته في النقد، وهذه التعقيبات تدل على نجاح ابن القطان في تحقيق أحد مراداته ومقاصده من خلال الخوض في مثل هذه القضايا.

فقد أبان ابن القطان الفاسي عن اسهام المدرسة المغربية في علم الحديث وأنها لا تقل مرتبة عن نظيرتها المشرقية، فإنتاجه العلمي وعطاؤه المعرفي أثر فيمن بعده بالاقتباس من كتبه أو اختصارها أو التعليق عليها ونحو هذا من جوانب التأثيرات فهو أعظم أنموذج للمدرسة المغربية في الصناعة الحديثية .

التوصيات.

١. إن تنمية النقد العلمي للتراث يقتضي معيشة طويلة؛ وفهما دقيقا، ومنهجا سليما لذلك نحتاج إلى تأصيل نظرية نقدية حديثية مغربية تستند إلى تراثنا الأصيل ويمكن تحصيل ذلك بالبحث عن التراث المخطوط لأرباب هذه المدرسة وتحقيق الموجود منه تحقيقا علميا.



٢. ربط حلقات تاريخ هذا العلم الشريف مشرقا ومغربا .

٣. بيان أن هذا العلم علم متجدد لا يقبل الجمود فهو يحتاج الى مزيد من التنقيب وتوفير الموارد والكفاءات.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصل وسلم على رسوله الأمين.






الإمام البخاري.. أمير أمراء صنعة الحديث

عبد العزيز بدر القطان
كاتب ومفكر – الكويت

كان في زمانه كالخليفة عمر بن الخطاب ﷺ من حيث المكانة والقوة ومحبة الناس، عَلَمٌ من كبار علماء الحديث رواية ودراية، أمير أمراء صنعة الحديث، وسيد المحدثين، إمام زمانه، لم يُرَ فيه مثله في علم الحديث والأهلية والفهم، هذا رأي كل المسلمين، وفي شهادات علماء المسلمين فيه عبر القرون ما يؤكد ذلك إنه الإمام البخاري.

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤هـ - ٢٥٦هـ)، ولد في مدينة بخارى التي نسب إليها وهي إحدى مدن أوزبكستان الحالية، وقد مات والده وهو صغير، فتربى يتيماً في حجر أمه التي أحسنت تربيته وكان لها دور في شحذ همته وحبه للعلم، سافر البخاري إلى مكة المكرمة في سن الـ ١٦ بصحبة أمه وأخيه أحمد لأداء فريضة الحج، وتخلف عنهما للاستزادة من المعارف حيث بقي هناك لستة أعوام وبدأ جمع الأحاديث، وبعدها سافر بين البلدان لهذا الهدف، من بغداد إلى الكوفة ودمشق ومصر وخراسان وغيرها، وكان يحفظ ويجتهد في طلب المزيد والتدوين، وروي أنه لا يكتب الحديث إلا بعد أن يكون قد توضأ وصلى ركعتين، كان رأساً في العلم، ورأساً في الورع والعبادة، يتمتع بالذكاء والنجابة والذاكرة القوية، وهي إحدى الصفات التي ساعدته لاحقاً في جمع الأحاديث النبوية.

حفظ البخاري القرآن الكريم وتلقى العلوم الأساسية في الدين وقد حفظ آلاف الأحاديث وهو لا يزال فتياً، وقد ساعدته أجواء بخارى التي كانت في ذلك العصر مركزاً من مراكز العلم، فكان يرتاد حلقات العلماء ورجال الدين، والتقى بعدد كبير من



الشيوخ والعلماء، حتى بلغوا أكثر من ألف رجل، وذلك في رحلاته الكثيرة وتطوافه الواسع في الأقاليم، قال البخاري: (كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث)، وقد اهتمّ العلماء بذكر شيوخ البخاري فسمّاهم بعض العلماء ورتّبهم على الأقطار كالذهبي في سير أعلام النبلاء، ورتّبهم بعضهم حسب الطبقة كالحافظ ابن حجر في هدي الساري، ورتّبهم بعضهم حسب عدد الروايات، ورتّبهم بعضهم على حروف المعجم، قال الإمام النووي: "هذا الباب واسع جداً لا يمكن استقصاؤه، فأنبه على جماعة من كل إقليم وبلد، ليستدل بذلك على اتساع رحلته، وكثرة روايته، وعظم عنايته".

يُعد شيخ الإسلام البخاري إمام الحفاظ وأكبرهم، وأبرز الفقهاء وأقدرهم، وهو من أهم علماء الحديث وعلوم الرجال والجرح والتعديل والعلل في التاريخ الإسلامي، فيما يصنف كتابه صحيح البخاري الذي جمع فيه الأحاديث النبوية واحداً من أعظم مصادر الأثر النبوي الشريف، حيث كان يتبع في كتابة الحديث منهجاً صارماً، يستقصي من الرواة والأسانيد، وأصبح علماً في هذا الباب في حسن التصانيف والتدقيق، وتعد قصة تأليفه لكتابه (الجامع الصحيح) الذي يعد أول كتاب صنف في الحديث الصحيح المجرد، دليلاً عظيماً على الهمة والذكاء والإخلاص، وقد استغرق هذا العمل ١٦ عاماً في رحلات شاقة بين البلدان، إن البخاري في صحيحه لا يروي عن النبي ﷺ مباشرة، بل هو يروي عن شيوخ ثقات، في أعلى درجات الحفظ والضبط والأمانة عن مثلهم إلى أن يصل إلى الصحابة عن رسول الله ﷺ، وأقل عدد بين البخاري والنبي ﷺ ثلاثة من الرواة.

لن نطّلع في هذه الرحلة على نهايتها، بل لنفكر بالمشقة التي تكبدها الإمام وحجم التعب والجهد الكبيرين، في سبيل غاية هي الأسمى، إنه جهاد حقيقي في سبيل الله تبارك وتعالى، فطالما الغاية إعلاء الإسلام ورفعته، كان الله يمدهم بصبر وقوة وعزيمة كبيرة، ما كنا لنعرف عنها لولا ما سطره التاريخ وحفظه بين طياته بماءٍ من ذهب، لتلجم كل حاقد على الإسلام، وتبيّن أن هذا الدين الحنيف هو دين السلام والمحبة والعدالة والازدهار، فتعاليم الإسلام كما نص عليها القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة لم تترك تفصيلاً صغيراً إلا وعالجته بما يتناسب مع كل زمانٍ ومكان، ولكل





زمانٍ رجالاته، وشخصية الإمام البخاري، شخصية لا يمكن لمقال أن يذكر مناقبه بالطريقة التي تناسب جهوده الكبيرة وعطاءاته الثمينة، حقاً إنه عمدة المحدثين بلا منازع.

كان للإمام البخاري الكثير من الشيوخ، وقد تفاوتت روايته عن بعضهم من حيث كثرة العدد وقلته فقد أكثر في صحيحه عن بعض شيوخه، منهم من لهم عنده أكثر من مائة رواية: عبد الله بن يوسف التنيسي، وقد فاقت رواياته عنه الثلاثمائة رواية، علي بن عبد الله المديني فاقت مروياته المائتين، **أبو اليمان الحكم بن نافع، موسى بن إسماعيل التبوذكي، عبد الله بن محمد المسندي، أبو نعيم الفضل بن دكين، محمد بن بشار المعروف ببندار، قتيبة بن سعيد، سلمان بن حرب، أبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي، محمد بن المثنى**، أما المتوسطون الذين لهم دون المائة رواية وأكثر من خمسين: **عبد العزيز بن عبد الله الأويسي، عبدالله بن الزبير الحميدي، إبراهيم بن موسى، إبراهيم بن المنذر، محمد بن يوسف الفريابي، محمد بن كثير، حفص بن عمر**، لكن من أهم شيوخه الذين بلغوا رتبة الإمامة في العلم والدين: الإمام أحمد بن حنبل وإن لم يرو عنه في الصحيح، وإسحاق بن راهويه روى عنه نحو الثلاثين رواية، وأحمد بن صالح المصري، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وغيرهم، ولعل أعظمهم تأثيراً في نفس الإمام البخاري وشخصيته، وأجلهم مرتبة عنده هو الإمام علي بن المديني، حيث قال البخاري فيه: "ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني".

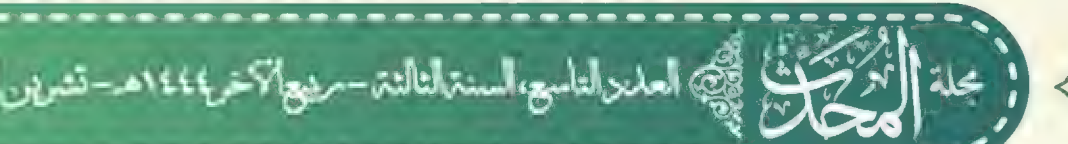
ما تقدم جعل من الإمام البخاري، محل قبول وثناء عامة الأئمة عبر التاريخ، فقد قال أحمد بن حنبل: "ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري"، وأفاض الحافظ الخطيب البغدادي في بيان مكانة البخاري في حواضر الإسلام: البصريين والحجازيين والكوفيين والبغداديين وأهل الريّ وخراسان، وقال الإمامان النووي والطوفي: "تلقيب البخاري ومسلم بإمامَي المحدّثين هو باعتبار ما كانا عليه من الورع والزهد والجد والاجتهاد في تخريج الصحيح حتى أئتم بهما في التصحيح كلُّ من بعدهما". وقال الحافظ الترمذي: "لم أر أحداً بالعراق، ولا بخراسان، في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد كبير أحد أعلم من محمد بن إسماعيل"، ولا يوجد



كتاب لدى المسلمين، نال الحظوة والسمعة والشهرة عند جمهور الفقهاء والشيوخ كصحيح البخاري، ونال بنفس القدر والقسط من التبجيل والتكريم والتعظيم، فهو أصح كتاب بعد القرآن (فيما يخص نصوص الشرع)، وقد انعقد إجماع الأمة على أن التراجم التي وضعها البخاري تدل على فهم عميق ونظر دقيق في معاني النصوص، فهو محل اتفاق بين عامة العلماء عبر القرون بعد أن أصبح البخاري محل قبول منهم على كثرة دراسته والكتابة عنه أو عن جانب منه، وقد أقر بهذا أئمة كالإمام أحمد بن حنبل، والحافظ النسائي وحكى الاتفاق عليه أئمة كابن الصلاح والنووي والطوفي وآخرون. وقد روى عن البخاري عدد كبير من تلامذته كمسلم وأبي زُرعة الرازي، والترمذي وابن خزيمة وغيرهم.

لم يأتِ وصف صحيح البخاري بأنه أصح كتاب بعد القرآن الكريم من فراغ، فهو من المصنفات الموسوعية الصحيحة، واتبع فيه عمدة المحدثين منهجاً علمياً دقيقاً حيث اشترط في قبول الحديث كما ذكرنا آنفاً، أن يكون الراوي معاصراً لمن يروي عنه وأن يكون قد الْتقى به وسمع منه مباشرة، وهذا الشرط الدقيق هو مما حمل العلماء على التسليم للبخاري فيما رواه غالبا وعلى وضع صحيحه في المرتبة الأولى، ونظراً لأهمية صحيح الإمام البخاري فقد اعتنى المسلمون شرقاً وغرباً به عناية فائقة، فألف العلماء المؤلفات حوله وقاموا بخدمته في جميع جوانبه شرحاً وتعليقاً واستدراكاً وغير ذلك في أكثر من ثلاثمائة وخمسين كتاباً.

لقد نهض الإمام البخاري بالحديث النبوي دراية ورواية، وانتهت إليه رئاسة الحديث في عصره، وبلغ تصنيف الحديث القمة على يديه، ولم يكن يروي كل ما يأخذه أو يسمعه من الشيوخ، بل كان يتحرى ويدقق فيما يأخذ، تهيأت أسباب كثيرة لأن يكثر البخاري من التأليف؛ بدأ التأليف مبكراً؛ فيذكر البخاري أنه بدأ التأليف وهو لا يزال يافع السن في الثامنة عشرة من عمره، وقد صنَّف ما يزيد عن عشرين مصنفاً، منها، الجامع الصحيح، الأدب المفرد، التاريخ الكبير، التاريخ الصغير، الكنى وغيرهم، والجامع الصحيح ليس هو المصنف الوحيد للإمام البخاري، فكما أنه أول من صنف في الحديث الصحيح المجرد، وبهذا الشأن يقول البخاري: "لم تكن كتابتي للحديث كما كَتبَ هؤلاء؛ كنتُ إذا كتبتُ عن رجل سألتُه عن اسمه وكنيته ونسبته

وحمله الحديث"، وفي علم الرجال تظهر تقوى البخاري وورعه وإنصافه من خلال كلامه في تجريح وتعديل الرواة؛ وبالأخص فيمن يضعفه منهم؛ فإنه أكثر ما يقول: فلان منكر الحديث أو سكتوا عنه أو فيه نظر، وقلما يقول: فلان كذاب أو كان يضع الحديث، حتى إنه قال: "إذا قلت فلان في حديثه نظر فهو متهم واهٍ" أي ضعيف، لكن كيف قسَّم عمدة المحدثين مصنفه الأهم "كتاب الصحيح"؟

قسَّم البخاري الكتاب بحسب موضوعات الحديث، فهو لم يقف عند الأساس الفقهي فقط بل وسّع الدائرة وجعلها تشمل كل الموضوعات التي تضمنّها أحاديث الرسول ﷺ، فهناك موضوعات فقهية وأخرى تاريخية وموضوعات تتناول التفسير وموضوعات تتحدث عن بعض الصحابة، ما يعني أنه اعتمد الأساس الموضوعي، فكان أول كتاب له الوحي ثم الإيمان ثم كتاب العلم وهكذا، فقد أخضع مؤلفاته إلى شروط دقيقة بالغة الدقة، ليميز الصحيح منها ويبعد ما هو غير صحيح، وتعد قواعده تلك من أقوى القواعد التي يمكن أن يضعها عالم لنفسه، في تاريخ البحث العلمي الإسلامي والثقافة الإسلامية ولهذا عرفت هذه القواعد أو الشروط عن العلماء بـ "شروط البخاري"، فهو لم يقبل أن يضع في كتابه إلا الأحاديث الصحيحة، واشترط أن يكون الراوي قد عاصر الراوي الذي يروي عنه ونقل عنه نقلاً مباشراً، وبهذا الشرط انفرد به عن باقي كل علماء الحديث، ولذلك نجد أنه قسّم الرواة إلى: أن يكون الراوي ملازماً لمن يروي عنه في السفر والإقامة، وهذه أعلى الدرجات عند عمدة المحدثين، أما الأمر الثاني أن يكون الراوي قد لازم من يروي عنه فترة غير قصيرة، فكان اعتماده بالدرجة الأولى على رواة الدرجة الأولى، بالتالي، لم يأتِ وصف صحيح البخاري بأنه أصح كتاب بعد القرآن الكريم من فراغ، فهو من المصنفات الموسوعية الصحيحة، واتبع فيه البخاري منهجاً علمياً دقيقاً، هذا بالإضافة إلى الثقة والضبط والعلم وغيرها من شروط الحديث الصحيح.

أما فيما يتعلق حول أعداء الإسلام الذين سوّلت لهم أنفسهم بنشر الأكاذيب عن الإمام، منها عن أصوله أنها غير عربية، هنا نرد بالقول: شكّل لقرون طويلة ثقافة شعوب متنوعة الأعراق والثقافات من العرب والترك والفرس وغيرهم، ففكرة تعريف علماء الإسلام (ما قبل الدولة القومية) بأعراقهم هو إسقاط لمشاكل الحاضر على



تاريخ رحب وشاسع، فسيبويه إمام العربية لم يكن عربياً بهذا المعنى القومي الضيّق، وبعض الشبهات الأخرى أنه عاش في أوزبكستان بعيداً عن المراكز الدينية، وبهذا يجهل هؤلاء مكانة بخارى في ذاك الزمان في زمن الأمويين والعباسيين وغَدَت بعد الفتح الإسلامي من أهم الحواضر الإسلامية، وخرج منها الكثير من الفلاسفة والفقهاء والمحدّثين من أشهرهم البخاري، والنقطة الأهم التشكيك بأحاديث عمدة المحدثين، وما يدحض رواياتهم الكاذبة هو أن طول الفاصل بين البخاري والنبي ﷺ أو قِصَره ليس معياراً في الصحة أو الضعف ما دام الاعتماد على آلية الإسناد وعلى معايير علمية للنقد، كما أن البخاري لم يكن أول من جمع الحديث ودوّنه حتى يُطرح مثل هذا الإشكال المُفتَعَل؛ فقد سبقه أئمة أعلام مثل الإمام مالك بن أنس، وأطول سند للإمام، هو سند تُساعي وهو حديث "ويل للعرب من شر قد اقترب" الذي أخرجه البخاري في كتاب الفتن وفيه أربع صحابيات، في حين أن البخاري حين يَنزل في الإسناد يَصل إلى سداسي أو سباعي وذلك لمعنى أو فائدة استدعت الإفراد بالبحث والدراسة، وفي بعض الأحيان يكون قد روى الحديثَ نفسه بالإسناد العالي في موضع آخر، وكما ذكرنا آنفاً أن للبخاري ثلاثيات (بينه وبين النبي ﷺ ثلاثة رواة فقط) وهي من مزايا صحيحه التي دفعت العلماء إلى العناية بها، فمثل هذه المعلومات المشوهة واللامسؤولة تعوّق الفكر النقدي.

إن أي طعن بمسلك الإمام البخاري، هو طعن بالمنهج العلمي والأكاديمي، لكن هذا الطعن المستمر أمر معروف خاصة من أعداء الإسلام، ومع اشتداد الأزمة على الإسلام، ومحاولات تغيير القيَم والمبادئ، كان لا بد من التصدي لهذه الحملات من خلال تضافر جهود الجميع، لإعلاء راية الإسلام كما كانت، وهذا يحتاج إلى العمل الحثيث، الصبر والإيمان الحقيقي، لأن من يعمل على تحطيم جسور قوة الدين الإسلامي يعمل تحت شعارات وعناوين ظاهرها معسول، وباطنها إلحاد وخبث.

كما أن من المهمات التي يجب العناية بها في أيامنا المعاصرة لغاية إعلاء الإسلام، هي الاهتمام بكتب علماء الإسلام وإبراز جهودهم، في وقت يمكن للجميع ملاحظة فئات تختص بتحريف التاريخ وتزويره حقداً على الإسلام وعلمائه، من خلال التقليل من شأنهم وإنكار أهمية كتبهم، لذلك رأيت أن أفضل ما يمكن فعله للتصدي لهؤلاء





هو إبراز جهود العلماء عموماً، وعلماء الحديث على وجه الخصوص، من خلال التاريخ وسير الأفراد وفن التراجم، وهي من أفضل الفنون التي تحفظ أنساب الأفراد والأمم، ومن بينهم الإمام الكبير الإمام **البخاري** الذي هو محور المقال.

من هنا، نعلم علم اليقين خطورة التقليل من شأن الإمام **البخاري** وجامعه الصحيح، وعدم إعطائهما حقّهما، ولا نعني بذلك عدم النقد العلمي المنصف النزيه إذا جاء من أهله، إذ شتان بين ناقد بصير باحث عن الحقيقة يصدر في نقده عن علم، وأدب، وناقد يبخس الناس أشياءهم بدافع الجهل أو الهوى، فالتهجم عليه وعلى صحيحه جريمة كبرى، فهو إمام الأمة، قضى من عمره أكثر من عقد ونصف من السنوات مرتحلاً يجوب بلاد الإسلام يجمع الأحاديث الصحاح في دقة متناهية، وعمل دؤوب وصبر منقطع النظير على البحث وتحرٍ للصواب، لأن من يرمي الإسلام ويحاول النيل منه هم فتنة هذا العصر، ونحن سخرنا الله تبارك وتعالى للدفاع عنه ما حيينا، كما أننا لا نحمل مشاريع سياسية بستارٍ ديني، ولا ننشر تعاليم محرفة بل نعتمد على كتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة ونتقصى دقة الحديث المسند إلى الرسول ﷺ معتمدين شروط وقواعد مدرسة أهل الحديث، بالسند المتصل، متحرين الدقة في النقل، كل ذلك من تعاليم علماء كان لهم الجهد الكبير في نقل ما نملك بين أيدينا اليوم، وسيبقى الإمام **البخاري** عمدة المحدثين وإمام الأمة الإسلامية.



دقة علم الحديث

الباحث أحمد الكبيسي
عضو هيئة التحرير

إن علم الحديث علم دقيق، كيف لا وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع قد نال العناية الكبرى به من هذا المنطلق، والخائض في علم الحديث يعلم مدى دقته، من حيث روايته، ودرايته، وقواعده، وقرائِنِه، وشهرته، وترجيحاته، وشاهده وشواهده، وتابعه ومتابعه، وناسخه ومنسوخة، وشذوذه وإعلاله، وكل مما تقدم علم خاص بذاته،

فالمرفوع والموقوف والمقطوع والمدبج والمعضل والمرسل والمدلس ...إلى عشرات الأنواع، ماهي إلا جزء واحد من علمٍ من العلوم له تعلق بـ" الدراية "

وبعد هذا كله نتعرف مخرج الحديث وشهرته وصحيحه وسقيمه وقبوله ورده، "فكل حديث من أحاديث رسول ﷺ له نظر خاص بذاته بقواعده وقرائنه وشواهد ومتابعاته" ولكل إمام منهجه الخاص، فلا يجوز أن نطبق قواعد كل حديث وقرائنه على آخر، كما أن للمسائل الحسابية قوانين خاصة تطبق على كل مسألة، وشذوذ في بعض الأحيان ومخالفة القواعد، فعلم الحديث أدق من علم الحساب بمرات وأنفس، وكذلك لا يجوز لمن يحفظ قواعد المصطلح أن يعدل ويجرح، ولا أن يصحح ويضعف على هذا الأساس، فهذا مثله كمثل من يحفظ الجداول الضربية، ولا يفهم بقوانين المسائل الحسابية.

فبعض الأحيان يقولون أصح الأقوال حديث كذا، وأشهر الأقوال حديث كذا،



وقد أردت أن أمثل بمثال بسيط لتلك العلوم فاخترت حديث الساعة التي في يوم الجمعة، فوجدت أن في معناها أكثر من أربعين قولاً فوالله إن العشرات من الأوراق لم تعطِ حق علم من تلك العلوم وفي نهاية تلك الاقوال التي تجاوزت الأربعين قولا ـعين البصيرة قبل العين الباصرة، وقد ينال أحدنا في هذا الزمان إحدى الشهادات بمجرد جمعه لتلك الأقوال، فكيف بمن سافر فقطع الفيافي وسهر الليالي فبين حالها وملابساتها؟

ولم أبين رواية مسلم؟ ولا قول ابن سلام؟ حتى يرجع من في قلبه شك، فليراجعها وليطمئن قلبه بذلك، فمن عاب أحدا من علمائنا وأئمة حديثنا، فهذا ما عاب إلا نفسه بسبب جهله وغفلته عن دقة هذا الفن وعن عظمة علمنا وعلمائنا، ولم يعرف مقدار الجهود التي بذلوها لحفظ السنة ونقلها.

المصادر:

ينظر فتح الباري: ٤١٦/٢، وعمدة القاري: ٣٥٩/٢.



ضوابط النشر في المجلة

ترحب هيئة التحرير بكم، وتستقبل مساهماتكم ونشاطاتكم العلمية على البريد الإلكتروني

mailto:almohadith.mg@gmail.com

١. أن تكون المقالات باللغة العربية.

٢. أن تكون المقالات علمية متخصصة بالحديث وعلومه.

٣. تعرض المقالات على اللجنة العلمية للمجلة، وقد تعدل عليها علميا، وبما يناسب طبيعة المجلة.

٤. لا يوجد إلزام لهيئة التحرير بنشر المقالات.

٥. يكون النشر بحسب متطلبات المجلة، ووفق الأمور الفنية الآتية:

أ. هوامش الصفحة تكون ٣ سم من كل الاتجاهات الأربعة، ويكون التباعد (مفردًا).

ب. يستخدم خط (**Sakkal Majalla**) للغة العربية، بحجم (١٨)، وبحجم (١٤) للحاشية، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.

ت. يستخدم خط (**New Times Roman**) للغة الانجليزية، بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والجداول والأشكال.

ث. تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الالكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بحجم (١٦) بلون عادي غير مسوَّد.

ج. أن يعتني الباحث بسلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية.



مجلة

المحدث

تصدر عن

مدرسة الحديث العراقية